مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

جوانب من ديمغرافية المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) خلال فترة نهاية العصور الوسطى وبداية الفترة الحديثة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الفاسي المعروف بـ :ليون الإفريقي (ت بعد سنة 957هـ/ 1550م)

Aspects of the demography of middle Megreb (curentlly: Algeria) during the end of the middle ages and begining of modern period through the "Wasf ifriqia" book by: Al –Hassan Al –wazzan Al –fassi, known as: leo Africanus (d. after 957AH/ 1550AD)

الطالب. إبراهيم حسن
brahimhistoir19@gmail.com
د. عمار غرايسة
agheraissa@yahoo.com
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

تاريخ الإرسال: 01-12-2020 تاريخ القبول: 16-05-2021

I. الملخـــص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة دراسة بعض من جوانب التاريخ الديمغرافي لبلاد المغرب الأوسط إبَّان فترة نهاية العصور الوسطى وبداية الفترة الحديثة، من خلال كتابات حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي حول هذه المنطقة، وذلك بالتطرق أولا للملامح العامة التي ميزت الوضع العام لديمغرافية المغرب الأوسط ثم التعرف عل مناطق

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

انتشار وتوزيع سكان المغرب الأوسط، وأخيرا القيام بمحاولة إحصائية لعدد سكان المغرب الأوسط في الفترة مدار البحث (بداية القرن 10هـ/16م).

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط ؛ ديمغرافية ؛ حسن الوزان ؛ كتاب وصف إفريقيا ؛ بداية القرن 10ه/16م ؛

I. ABSTRACT:

This study try to research in some aspects of the demographic history of Middle Megreb during the end of the middle Ages and the begining of the modern period by through Al -Hassan Al –Wazzan (Leo Africanus)'s book . And that is done firstly by studing the general features that characterize the demographic situation of the Middle Megreb country, then studing the areas of population spread of this country, finally doing a statistical study about Middle Megreb population dring the research period (begining of 10AH/ 16AD century).

Keywords: Middle Megreb; demographic ; Al –Hassan Al -Wazzan; the book of "Wasf ifriqia". The beginning of the 10 AH /16 century AD .

1.المقدمـــة:

للمغرب الأوسط ولغيره من بلاد المغرب مصادر عدة لا غنى عنها لمؤرخ العصر الوسيط، وتختلف أهمية ونوع تلك المصادر حسب اختلاف الفترات الزمنية خلال العصر الوسيط، ولعل مصنَّف حسن الوزان (ليون الإفريقي) الموسوم بوصف إفريقيا، يعد أهم تلك المصادر التاريخية التي تؤرخ لفترة حاسمة من تاريخ بلاد المغرب الأوسط وغيره من بلاد المغرب، حديثنا هنا عن الفترة الانتقالية بين الفترتين: الوسيطة والحديثة، والتي تعد ـــ في نظرنا ـــ من الفترات البارزة والجديرة بالاهتمام والدراسة بسبب الأهمية

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

والخصوصية التي اتسمت وانفردت بها كونها همزة وصل بين فترتين مهمتين من فترات المغرب الأوسط (الجزائر) خلال تاريخه الحضاري الكبير.

كما أن البحث في موضوع التاريخ الديمغرافي لبلاد المغرب الأوسط يعد من المواضيع الجديدة الجديرة بالعناية والدراسة من قِبل الباحثين المهتمين بهذا المجال من تاريخ هذه البلاد، ولهذا جاء هذا الموضوع لتسليط الضوء على الوضع الديمغرافي لهذه المنطقة من خلال كتابات حسن الوزان، وذلك بالتعرف أولا على الملامح العامة التي ميزت هذا الوضع، ثانيا: التعرف على مناطق الاستقرار والتوزيع السكاني بالمغرب الأوسط، وأخيرا القيام بمحاولة إحصائية لنسبة سكان المغرب الأوسط من خلال ما دوَّنه الوزان دائما، ف**إلى أي مدى استطاع حسن الوزان أن يعطينا صورة واضحة عن الجانب الديمغرافي للمغرب الأوسط خلال الفترة مدار الدرس؟ أو بعبارة أخرى: كيف كان الوضع الديمغرافي في بلاد المغرب الأوسط خلال المرحلة الانتقالية بين الحقبتين الوسيطة والحديثة من خلال ما دُون عند الوزان في كتابه وصف إفريقيا؟ وهل بإمكاننا الوصول إلى نسبة –ولو تقديرية– لعدد سكان المغرب الأوسط في هذه الفترة من خلال ما جاء عند الوزان دائما؟**

2. ملاحظات قبل البدء:

في الفترة الأخيرة، وعقب انفتاح علم التاريخ على العديد من الأخرى المساعدة له كعلم الآثار، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا... وغيرها، ظهر إلى الوجود علم الديمغرافيا التاريخية الذي كان إحدى نتائج هذا الانفتاح عن طريق دمج علم التاريخ الذي يهتم بدراسة ماضي الإنسان بعلم الديمغرافيا[1] والذي يعرف ب"علم السكان"[1]،

[1] – الديمغرافيا: هي دراسة السكان من حيث الحجم والتركيب والتويع وأسباب ونتائج التغيرات في تلك الخصائص. ينظر: مصطفى خلف عبد الجواد، دراسات في علم اجتماع السكان، دار المسيرة، د

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

والذي يدرس مختلف الظواهر والتغيرات السكانية كالمواليد والوفيات والأعمار والفئات والأجناس والهجرة وعدد السكان...إلى غير ذلك.

ومنه، فعلم الديمغرافيا التاريخية هو ذاك العلم الذي يسعى إلى تطبيق نفس خصائص العلم الأم (الديمغرافيا) على الجانب التاريخي، أي دراسة التاريخ السكاني والديمغرافي للشعوب والمجتمعات من منطلق تاريخي بحث، فيشترك هذا العلم في الطرق والأساليب والمنهج مع العلم الأم، ويختلف معه في المصادر التي يبنى عليها البحث الديمغرافي التاريخي والتي هي في الأساس المصادر التاريخية بمختلف أنواعها.

يعتمد كل من علمي الديمغرافيا وعلم الديمغرافيا التاريخية بشكل عام على الإحصاء بشكل أساسي، فحضور هذا الجانب أمر أساسي وضروري ولابد منه من أجل القيام بدراسة ديمغرافية أو بدراسة ديمغرافية تاريخية من أجل رسم منحنيات حالة وتطور وضع ديمغرافي معين لمكان ما في فترة زمنية ما.

غير أنه إذا ما أردنا الحديث عن كتابة التاريخ الديمغرافي في الفترة الوسيطة والمتعلق ببلاد المغرب ككل وبلاد المغرب الأوسط على سبيل المثال، فإن أكبر تحدي يواجهنا في هذا الأمر هو غياب أرشيف وسجلات مصدرية إحصائية تعود للفترة الوسيطة المتعلقة بهذه المنطقة، وكذا نقص المؤشرات والمعطيات الإحصائية في الإسطوغرافيا الوسيطية كمنطلقات أساسية يمكن الاعتماد عليها في عملية كتابة التاريخ الديمغرافي هاته، وبالتالي تصبح مهمة اقتحام هذا النوع من الدراسات وأيضا محاولة التفكير الجدي في كتابة تاريخ بلاد المغرب الديمغرافي أمورا في غاية الصعوبة والتعقيد،

م ن، 2009، ص 6. للمزيد عن تعريف ومفهوم الديمغرافيا، ينظر: فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت ن، ص 14.

[1]– فتحي محمد أبو عيانة، نفسه، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وهو ما جعل أحد الباحثين[1] يقر بأن أن الدراسات التاريخية المغربية التي تهتم بالحقل الديمغرافي تتميز بالمحدودية والإبتسار، رغم أهمية هدا الحقل المعرفي في فهم آليات التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع المغربي، ويبرز هذا التقصير واضحا عند مقارنتها بالدراسات الأوروبية التي اتخذت منحى تصاعديا في هذا المجال، إذ أصبحت إحصائيات السكان وتوزيعهم حسب الأعمار والجنس والمدن والأنشطة المهنية تشكل عنصرا جوهريا في بنية البحث التاريخي الخاص بأروبا الوسيطة، الشيء الذي جعل نفس الباحث[2] يذهب إلى أن هذا القصور يُعزى –فيما يتعلق بتاريخ المغرب الوسيط على الأقل– إلى استحالة العثور على الوثائق الإحصائية الخاصة بالمنطقة، فإذا كانت الأرشيفات الأوربية سواءا في بلديات المدن أو الكنائس أو المؤسسات الإدارية الأخرى لاتزال تحتفظ ببعض الوثائق التي تفيد في هذا، فإن الأرشيف المغربي يكاد يخلو بالمرة من أي مستند يرتكز عليه الباحث، وهو أمر يُرد ربما إلى عدم توافر تقنيات إحصائية في الحقبة الوسيطية لرصد عدد السكان.

لكن هذا لا يعني بتاتا الإستحالة التامة في قضية العثور على بعض المؤشرات الإحصائية في مختلف المصادر الوسيطية، هاته المؤشرات الإحصائية وبالرغم من قلتها، إلا أنه يمكن اعتبارها كركيزة أولية يمكن الانطلاق منها كبداية لكتابة التاريخ الديمغرافي لهذه المنطقة، ولعل أفضل مثال على ذلك يتمثل في مصنف وصف إفريقيا للحسن الوزان الذي يحمل في طياته العديد من المؤشرات الإحصائية التي لا يستهان بها والتي يمكن

[1]– ابراهيم القادري بوتشيش، أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديمغرافي بالمغرب في العصر الوسيط (دراسة حالة)، مجلة كنانيش، ع1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ جامعة محمد الأول ـــ وجدة، المملكة المغربية، 1999، ص 41.

[2]– نفسه، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الاستعانة بها من أجل هذا الغرض، على غرارا استعمال الوزان لمصطلح "الكانون" كمقياس أو كوحدة حسابية لعملية الإحصاء الديمغرافي والعمراني للمجالات الجغرافية التي تضمنها مصنفه، وهو ما شجعنا فعلا على القيام بدراسة مستقلة تتعرض لبعض الجوانب التي ميزت الوضع الديمغرافي لبلاد المغرب الأوسط من خلال ما أورده الوزان من كتابات حول هذه المنطقة.

3. الكانون وإشكالية استعماله كوحدة حسابية عند حسن الوزان:

لا أحد ينكر أهمية المعلومات الديمغرافية الواردة في كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان، ولا أحد يستطيع ايضا إنكار أهمية المعطيات الإحصائية الواردة ضمن هدا المصنف، لكن بالرغم من كل هذا فإن هدا المصدر لا يخلو من مزالق كغيره من المصادر التاريخية الأخرى، فاستعمال "الكانون"* كوحدة حسابية لمعرفة الوضع الديمغرافي للمنطقة خلال فترة الدراسة يعد أحد أهم المعضلات الأساسية التي قد يصطدم بها أي باحث في هذا المجال. وهذه النقطة بالذات تستدعي من الباحثين التطرق لها بشيء من الدقة والتفصيل.

* "يُقصد بـــ "الكانون" مجموع الأشخاص الساكنين في محل واحد والمكوِّنين لزمرة عائلية تعتبر واحدة عند توزيع التكاليف أو تقسيم بعض المنافع، **إلا أن الصعوبة في الاعتماد على عدد الكوانين تكمن في عدم وجود معامل متفق عليه لتحويل عدد من الكوانين إلى عدد من الأشخاص، فمن مكان إلى آخر ومن عصر إلى عصر يعطي الكانون عددا مختلفا من السكان، وكل تعميم في هذا المجال يعد من أخطر الأمور، ويكاد يكون من المؤكد...أن حجم "الكانون" كان على أقل تقدير أكبر من الحجم الذي يقدر للكانون الأوروبي في نهاية القرون الوسطى وبداية القرون الحديثة أي من 5 إلى 6 أشخاص**". ينظر: أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 1432هـــ/ 2011م، ص 183.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

فمن بين النقاط التي أعابها أحد الباحثين[1] على اعتماد حسن الوزان للكانون كوحدة حسابية هي كونه مقياس لا يمكننا من معرفة عدد السكان الحقيقي، فالمعدل السائد هو أن الكانون يعادل خمسة أفراد وهو بدوره رقم تقريبي، الشيء الدي أدى بإحدى الدراسات[2] إلى مخالفة هدا المعدل القائم على خمسة أفراد لكل كانون إلى عشرة افراد لكل كانون، خصوصا إدا أخدنا بعين الاعتبار بعض الخاصيات العامة التي ميزت ذهنية وعقلية المجتمع أنداك مثل تعدد الزوجات والزواج المبكر والعدد الكبير لأفراد العائلة الواحدة[3]واستعمال الجواري للإنجاب[4] أو انتشار ظاهرة التسري بهن. وهو الأمر الدي يجعلنا ننتهج هدا الطرح الأخير القائم على **عشرة أفراد لكل كانون** ودلك بالنظر إلى الأسباب المذكورة انفا، ضف إلى دلك فإن عدد خمسة أفراد لكل كانون هو عدد قليل جدا ـــ في نظرنا ـــ ولا يعكس الحجم الحقيقي للسكان.

4. الملامح العامة للوضع الديمغرافي للمغرب الأوسط :

4. 1. التراجع والتقهقر الديمغرافي:

[1]– عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16م نموذجا)، مجلة كنانيش، ع1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ جامعة محمد الأول ـــ وجدة ـــ المملكة المغربية ـــ، 1999، ص 84.

[2]– حليمة بنكرعي، الدراسة الديمغرافية بالبوادي المغربية في الفترة ما بين 1459 ـــ 1541 بادية الواجهة الأطلنطية أنموذجا، مجلة كنانيش، ع1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ جامعة محمد الأول ـــ وجدة ـــ المملكة المغربية ـــ، 1999، ص 94.

[3]– ابراهيم جدلة، المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي، وحدة البحث: الجنوب الغربي، التاريخ والاثار والتراث والمجتمع، جامعة قفصة ـــ تونس ـــ، د.ط، 2010، ص37.

[4]– ابراهيم جدلة، السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر م، ضمن: الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص ص 85 ـــ 100.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

في الحقيقة، إن التراجع الديمغرافي في مطلع القرن 10هـ/16م ميزة عامة طبعت بلاد المغرب ككل وليس فقط المغرب الأوسط فقط، ويظهر دلك جليا من خلال كتابات حسن الوزان عن المنطقة، وهو الأمر الدي ينطبق بدوره على المغرب الأوسط باعتباره جزءا من هده المنطقة، فحسن الوزان عند حديثه عن مملكة تلمسان يصرح بشكل واضح بأنه لا يوجد بهده المملكة إلا القليل من المدن والقصور بالرغم من أماكنها الزاهرة وخصوبة أراضيها[1]، ويعيد ويؤكد ذلك في موضع اخر بقوله: "تنتج البلاد قليلا **ولا يسكنها إلا القليل من الناس**"[2] مما يدل على التراجع الديمغرافي للمنطقة وعلى تردي أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية أيضا.

ويبدو أن بجاية ومنطقتها لم تسلم هي الأخرى من هذا الوضع إذ يذكر الوزان أن عدد سكان مدينة بجاية يناهز 8000 (ثمانية الاف) كانون[3] أي ما يعادل 80000 (ثمانين الف) ساكن هذا إذا ما اعتبرنا أن كل كانون يعادله 10 أفراد، ويضيف قائلا: "...أقصد في القسم المسكون منها، إذ لو امتلأت دورا لفاق عدد كوانينها أربعة وعشرين الفا..."[4] أي أن بإمكان المدينة أن تتحمل طاقة بشرية مقدارها 240000 (مئتان وأربعين ألف) ساكن، وذلك دائما باعتبار 10 أفراد لكل كانون، وهو رقم كبير جدا مقارنة بالعدد الدي قدمه الوزان لنا في فترة زيارته لهده المدينة (بداية ق10هـ/بداية ق16م)، كما قدم لنا مارمول بدوره رقما قريبا نوعا ما من رقم الوزان عندما قال بأن "المدينة

[1]–حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان ـــ، ط2، 1983، ص 10.

[2]– حسن الوزان، المرجع نفسه، ص 23.

[3]– المرجع نفسه، ص 50.

[4]– نفسه، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

كانت في عهد ازهارها تحتوي أكثر من **عشرين ألفا من الدور العامرة**"[1]، أي ما يعادل 200 ألف نسمة، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على عظم ما كانت عليه هده المدينة في الفترات السابقة من جهة، ومن جهة أخرى يدل عن مدى التراجع الديمغرافي الدي لحق بهده المدينة وبغيرها من مدن وبوادي المغرب الأوسط.

4. 2. التراجع والخراب العمراني للمدن والقرى:

إن المتتبع جيدا لوصف حسن الوزان لمدن وقرى المغرب الأوسط يلاحظ بشكل جلي تحسره على الحالة العمرانية للمنطقة مقارنة مع ما كانت عليه قبل فترته وأثناء قرون غابرة أين كانت في أوجِّ ازدهارها العمراني، ويُفهم من ترديد الوزان لمصطلحات مثل: "كانت مدينة كبيرة "[2]، "كانت مدينة في غاية العمران والحضارة"[3]، "كان لها في القديم حضارة كبيرة وسكان كثيرون"[4] ومصطلحات مثل: "مدينة صغيرة"[5]، وغيرها...، يفهم من ذلك مدى تراجع وتقهقر النسيج العمراني للمغرب الأوسط من جهة، ومن جهة أخرى تحسر الوزان على هده الحالة العمرانية السيئة لبلاد المغرب الأوسط، إذ يصرح بدلك بشكل جلي وواضح عند حديثه عن مدينة **هنين**، إد يقول بأنها "مدينة صغيرة...كان سكان[ها] في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات ودورهم في غاية الجمال والزخرفة...لكن عندما بلغ السكان خبر احتلال

[1]– مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محد حجي وآخرون، ج 2، مكتبة المعارف، الرباط ــ المملكة المغربية، 1984، ص 376.

[2]– مثلا عند حديثه عن مدينة البطحاء. ينظر: الوزان، المرجع السابق، ص 27.

[3]– مثلا عند حديثه عن مدينة أرشكول. ينظر: الوزان المرجع نفسه، ص 16.

[4]– مثلا عند حديثه عن مدينة مستغانم. ينظر: الوزان، نفس المرجع، ص 32.

[5]– مثلا عند حديثه عن مدينة هنين. ينظر: الوزان، نفس المرجع، ص 15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وهران **تركوا جميعا المدينة فأصبحت خاوية على عروشها**...وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين حتى الان كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون. **لكن لا يوجد من يقطفها** في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة حيث أقيمت الطاحونات. **ولما مررت من هناك تألمت جدا للحالة البائسة التي صارت إليها المدينة...** " [1]

إن هذا النص بالذات يعتبر ـــ في اعتقادي ـــ أفضل نص مصدري يعبر بشكل صريح عن الوضع الكارثي للحالة العمرانية والسياسية والأمنية والاقتصادية للمغرب الأوسط في الربع الأول من القرنين 10ه و16 م. إذ يمكن من خلاله استنتاج عدة مميزات عامة طبعت هدا الوضع وهي:

- ضعف السلطة المركزية الزيانية وعجزها عن التصدي للأطماع التوسعية الإسبانية حتى على السواحل القريبة من عاصمتها تلمسان. دون أن ننسى العثمانيين وبداية توسعاتهم على الحدود الشرقية لهده المملكة.
- إن عبارة "تركوا المدينة فأصبحت خاوية على عروشها" تحيلنا مباشرة إلى دور الحروب والفتن السياسية في نشر الهلع والخوف بين السكان الشيء الذي يؤدي بهم هجرة مواطن استقرارهم ضمن هجرة غير طبيعية، هجرة قسرية اضطروا إليها بحثا عن النجاة بأنفسهم وهروبا من الحرب وويلاتها.
- أيضا يعتبر تألم الوزان على الحالة البائسة للمدينة لأفضل دليل على الحالة الكارثية للوضع العمراني للمغرب الأوسط في هذه الفترة.
- إن وفرة الثمار بمختلف أنواعها في الممتلكات الفلاحية المحيطة بالمدينة دون أن تجد من يقطفها، لدليل واضح على انتشار عامل الخوف واللأمن بين السكان بفعل كثرة

[1] – الوزان، نفس المرجع، ص ص 15 ـــ 16.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الحروب والفتن السياسية من جهة ومن جهة أخرى فهي دليل أيضا على تزعزع الوضع الديمغرافي للمنطقة نتيجة استفحال ظاهرة الحرب بمختلف أبعادها وهو ما انعكس سلبا على السكان بوقوعهم ضحايا لهده الحروب كقتلى أو أسرى أو مضطرين إلى الهجرة عن ديارهم إلى مناطق جديدة أكثر أمنا.

و لم تكن مدينة هنين وحدها من عانت من هذا الوضع، ف**البطحاء** أيضا كانت مدينة كبيرة ومتحضرة جدا واهلة بالسكان، لكنها خربت أثناء الحروب التي استعرت بين ملوك تلمسان وبني توجين سكان جبل ونشريس، ونتج عن ذلك أنه لا يرى اليوم من البطحاء سوى أسس جدران[1]وكذا مدينة **تقدمت** التي كانت متحضرة جدا بعد الفتح الإسلامي لها خاصة في الفترة الإدريسية والتي دمرت من طرف الفاطميين سنة 365ه، والتي لم يبق منها عند معاينة الوزان لها سوى آثار الأسس[2] وأيضا **تيفش**، المدينة التاريخية والقديمة خربت ودمرت وأصبحت في زمن الوزان مجرد مستودع للحبوب لقبيلة هوارة[3] أيضا مدينة **مازونة** التي كانت متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تتعرض للتخريب من قبل الحفصيين والثوار والأعراب وهي اليوم قليلة السكان[4] والأمثلة كثيرة عن هذه الظاهرة، فكما هو ملاحظ فقد أكثر الوزان من الحديث عن المدن المندرسة وألح في تفسير الاندثار على دور الحروب التي خاضتها العصبيات المتعاقبة في معظم

[1]– الوزان، ص ص 27 ــ 28 .
[2]– نفسه، ص ص 40 ــ 41.
[3]– نفسه، ص 62 ــ 63.
[4]– نفسه، ص 36.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الحالات[1] وهذا الأمر يحيلنا إلى دور الصراعات العسكرية والفتن والاضطرابات السياسية بكل أشكالها في التراجع الديمغرافي والخراب العمراني للمدن والقرى والبوادي، وهو ما حدا بأحد الباحثين إلى القيام بدراسة مستقلة متخصصة في هذا الموضوع، والتي خلصت في النهاية إلى أن الخراب الدي تعرضت له مدن المغرب الأوسط والأدنى كانت أسبابه في الغالب كثرة الصراعات والانتفاضات والتمردات، والتي كانت سببا مباشرا في خراب المدن وتراجع دورها[2] ورغم تعلق فترة هذه الدراسة بالفترة التي بين القرنين 3 و6 الهجريين / 10 ــ 12 م، إلا أنه وعلى ما يبدو فوتيرة ظاهرة التخريب العمراني ظلت مستمرة حتى فترة الوزان خاصة مع الأوضاع السياسية المشحونة التي عصفت بكيان المغرب الأوسط نهاية الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة.

4. 3.إنتشار عنصر اللأمن ودوره في عملية التهجير القسري للسكان:

منذ القرن 13م/7هـ على الأقل، دخل الغرب الإسلامي في مرحلة طويلة من الانحطاط والتدهور مست كل المجالات، وكلما اقتربنا من القرن 16م/10هـ إلا وكان الوضع يزداد تأزما، فقد انقلبت الأوضاع رأسا على عقب إد ضاعت الأندلس (الفردوس المفقود)، واحتل النصارى أغلب المدن الساحلية، وخربوا الخارجة عن

[1]– عبد الأحد السبتي، علامات المدينة المغربية في الأدب الجغرافي الوسيط: في دلالات الخراب، مقال ضمن أعمال المائدة المستديرة :التاريخ واللسانيات ــ النص ومستويات التأويل ــ مراكش 25 ــ 26 ماي 1990، تنسيق وتقديم: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ــ جامعة محمد الخامس ــ، المملكة المغربية، 1992، ص 24.

[2]– بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296 ــ 547هـ/ 909 ــ 1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرف والمغرب الإسلامي، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ــ الجزائر ــ، الموسم الجامعي: 2012 –2013م، ص 264.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

قبضتهم، واضطرب الوضع داخليا وهيمنت الحروب الأهلية وانقطعت خطوط التجارة وعمت الفوضى، وانعدم الأمن وتوالت المجاعات وانتشرت الأوبئة وطغى الفقر وشاعت الدروشة، وتحكم الاستبداد في علاقة السلطة برعاياها[1]، وقد عرف **أحمد توفيق المدني** كيف يعبر جيدا وبشكل مختصر ودقيق عن حالة بلاد المغرب هذه مطلع القرن 16م/10هـ أين اختزلها في ثلاث كلمات: **تقهقر، فوضى وانحلال**[2]، و لم تكن أوضاع المغرب الأوسط بدوره لتجانب هذه الحالة على مستوى كل الأصعدة، خاصة على الصعيد السياسي الدي كان في غاية التأزم، فقد تزامنت زيارة حسن الوزان له أثناء فترة اتسمت بتفاقم الصراعات الداخلية بين أفراد الاسرة الزيانية الحاكمة بتلمسان[3]، نفس الأمر انطبق على الأسرة الحفصية ببجاية المنشقين عن تونس، كما تزامنت أيضا مع احتلال الإسبان لكل من المرسى الكبير ووهران وبجاية ومحاولاتهم إخضاع مدينة الجزائر ومدن ساحلية اخرى لبلاد المغرب الأوسط[4]، وصولا إلى بداية جهود العثمانيين لصد هذا العدوان الإسباني[5].

[1]– محمد المهناوي، الولي والمجتمع: مدخل لدراسة تاريخ الخوف في المغرب الحديث، مجلة كلية الآداب، ع 11 ــ 12، الجديدة ــ المملكة المغربية، ص 104.

[2]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 ــ 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن، ص 64.

[3]– للمزيد حول هدا الموضوع ينظر: عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 74.

[4]– للمزيد حول احتلال الإسبان لسواحل المغرب الأوسط ينظر: محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 ــ 1543)، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 1433هـ/2012م، ص99 وما بعدها.

[5]– للمزيد حول هدا الموضوع ينظر: محمد دراج، المرجع نفسه، ص 188 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وأمام عجز السلطة السياسية في كل من تلمسان والجزائر وبجاية عن إثبات وجودها وفرض سيطرتها السياسية والعسكرية على أقاليمها والمناطق التابعة لها، فتح ذلك المجال واسعا أمام ظاهرة تسلط الأعراب وانعدام الأمن. الوزان وفي بداية حديثه عن مملكة تلمسان يذكر بشكل صريح وواضح بأنه " **قلما توجد في البلاد سبل آمنة** "[1]، وهذه عبارة صريحة تدل على مدى تفاقم الوضع الأمني واضطرابه في مملكة بني زيان، فكان تسلط هؤلاء الأعراب سببا في إنهاك كاهل السكان بالضرائب وانتشار عنصر غياب الأمن بين السكان وبين مختلف المناطق حتى وصل الأمر إلى حد اضطرار ملوك تلمسان إلى تهدئتهم ـــ أي الأعراب ـــ بأداء إتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لهم[2] بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك بتخصيص جزء كبير من ميزانية الدولة للإنفاق على الأعراب[3] لاستمالتهم وكسب ودهم، لكن على ما يبدو لم ينجح ملوك تلمسان في ذلك، إذ لم يستطيعوا إرضائهم جميعا[4] إذ يذكر الوزان بأن سكان مدينة **المدية** أثرياء لأنهم يتجرون مع نوميديا، ويرتدون لباسا أنيقا، ويسكنون دورا جميلة، إلا أن **الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات، ولا يستطيع ملك تلمسان أن يدافع عنهم** ولا أن يسيطر عليهم لبعدهم عن هده المدينة بنحو 200 ميل[5].

[1]– الوزان، المصدر السابق، ص 9.

[2]– الوزان، نفسه، ص 8

[3]– يذكر الوزان بأن "مملكة تلمسان كانت تحقق مردودا يبلغ ثلاثمئة ألف وحتى أربعة ألف دينار طوال العديد من السنين عندما كانت وهران تابعة لها، لكن نصف هدا المبلغ كان ينفق على الأعراب وحراس المملكة والباقي لأجور الجند والقادة وكبار موظفي الحاشية". الوزان، نفسه، ص 23.

[4]– الوزان، ص 9.

[5]– نفسه، ص 41.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ومن الطبيعي أن نجد حضورا قويا لظاهرة تسلط الأعراب في المناطق الداخلية بسبب بعدها عن اعين السلطة من جهة وبسبب كونها مناطق سهلية تسهل عملية التحرك حولها وإخضاعها، فدور مدينة **المسيلة** قبيحة، بخلاف الأسوار المحيطة بها فهي جميلة، والسكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم **الاعراب الدين يسلبونهم مداخيلهم**، وملك بجاية **الدي أثقل كاهلهم بالضرائب**[1] وإذا دققنا قليلا فيما قاله الوزان حول مدينة المسيلة نجد بأن الأعراب لم يكونوا وحدهم من يساهم في زعزعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمساهمة في عملية التهجير القسري للسكان عن طريق ممارسة ظاهرة الشطط الجبائي عليهم بإثقال كاهلهم بالضرائب، بل نجد كذلك بأن السلطة الحاكمة قد كان لها في دور في ذلك. ولنضرب هنا مثلا بمدينة **ميلة** التي كانت تضم زهاء ثلاثة الاف كانون أي ما يقارب 30 ألف ساكن (دائما باحتساب 10 أفراد لكل كانون)، لكنها **اليوم لم يبق فيها إلا القليل من الدور المسكونة بسبب جور الأمراء**[2].

وبالعودة مرة أخرى إلى الأعراب، فلم تكن المناطق الداخلية هي وحدها التي تضررت من تعسفاتهم وتسلطهم، بل وصل بهم الأمر إلى مهاجمة المدن الساحلية القريبة من أعين السلطة، فمدينة **مستغانم** "... كان لها في القديم حضارة كبيرة وسكان كثيرون، لكن **الأعراب يكثرون من مضايقتها** مند أن بدأت سلطة تلمسان تضعف حتى أنها **فقدت ثلثي أهلها في وقتنا الحاضر...**" وهده العبارة الأخيرة: "**فقدت ثلثي أهلها**" توحي لنا بشك جلي فداحة الوضع الأمني واختلاله ومدى تأثيره على الوضع الديمغرافي لمختلف مدن وقرى المغرب الأوسط، حيث ساهمت الأوضاع الأمنية المتأزمة

[1] – الوزان، نفسه، ص 52.

[2] – نفسه، ص 60.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

في تهجير السكان من مواطن استقرارهم هروبا من الحرب وويلاتها تارة أو بالقتل تارة الأخرى نتيجة الحروب مباشرة أو من تبعات هذه الحروب كالمجاعة مثلا، هذا دون نسيان ظاهرة وقوع السكان في الأسر والاسترقاق والتي ستدر أرباحا هائلة بعد بيعهم داخل وخارج المغرب الأوسط. كل هذه العوامل مجتمعة ستساهم في إحداث فراغ ديمغرافي حاد على مختلف هذه المناطق.

وحتى الجبال والمناطق الجبلية لم تسلم بدورها من تعسفات هؤلاء الأعراب، فالمناطق الزراعية الواقعة بجبال عنابة غير مسكونة بسبب الأعراب[1]، ضف إلى ذلك المناطق الجنوبية أو الصحراء ـــ التي يسميها الوزان بـــ: نوميديا ـــ والتي على ما يبدو فقد نالت حظها من هذه الظاهرة، فبالرغم من تجارة سكان منطقة **تبلبلت**[2] مع بلاد السودان إلا أنهم فقراء لكونهم خاضعين للأعراب[3] وكذا سكان مدينة **طولقة** الذين هم فقراء ومثقلون بالإتاوات من قبل الأعراب وملك تونس[4].

في ظل هذه الأجواء السياسية والأمنية المشحونة وبسبب كثرة الغارات والحروب على المناطق السكنية لم يجد السكان من بُدٍّ سوى الفرار والنجاة بأنفسهم نحو مناطق آمنة للاستقرار بها بشكل مؤقت أو دائم، فتارة يكون التهديد من قِبل الإسبان أو من الاعراب أو من تصارع المراكز السياسية الكبرى في كل من تلمسان والجزائر وبجاية، وأمام هذا الانفلات الأمني الكبير عانى سكان المغرب الأوسط الأمرين من جراء هذا الوضع، فانتشرت بين مختلف مناطقه ظاهرة الهجرة القسرية بعيدا عن مناطق سكناهم.

[1]– نفسه، ص 104.

[2]– تعرف حاليا بتبلبالة، وتتبع إداريا لولاية بشار.

[3]– نفسه، ص 129.

[4]– نفسه، ص 140.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ولقد كانت للغارات التي شنها الإسبان على سواحل المغرب الأوسط دور كبير في هذا النوع من الهجرات، ولقد ضربنا من قبل مثلا بمدينة **هنين** التي أصبحت خاوية على عروشها من السكان ودلك بعدما بلغهم ـــ أي السكان ـــ خبر احتلال وهران[1]. لكن السؤال الدي يبقى مطروحا: إلى أين يفر هؤلاء السكان؟ أعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال ستتضح معالمها عندما يتحدث الوزان عن مختلف **الجبال** والتي تتربع في العديد من مناطق المغرب الأوسط، فيصفها بأنها **عامرة وكثيرة السكان** بخلاف المناطق السهبية والسهلية والمنبسطة. الشيء نفسه ينطبق على **الصحراء** والتي وصف الوزان معظم مناطقها وقصورها بأنها **مأهولة وعامرة** والأمثلة هنا كثيرة عن هدين العنصرين: ـــ الجبال والصحراء ـــ، وهو ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

غير أن هناك نوع من الهجرات الإيجابية التي كان لها تأثير إيجابي على الحياة العامة ليس فقط على المغرب الأوسط بل على بل على منطقة بلاد المغرب كافة، حديثنا هنا عن الهجرات الأندلسية التي شهدت حركية واسعة خلال هده الفترة خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 897هـــ/1492م نحو سواحل ومدن شمال أفريقيا، يذكر الوزان عند حديثه عن مدينة **شرشال** بأنها "مدينة كبيرة جدا وأزلية...هجرت أثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وملوك تونس، **وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثمئة سنة** حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، **فقصدها الغرناطيون إذ ذاك وأعادو بناء عدد مهم من دورها** وجددوا القلعة ووزعوا الأراضي بينهم، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة واشتغلوا بصناعة الحرير، إذ وجدوا هنالك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود، فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون **في مائتين وألف بيت**"[2].

[1] – نفسه، ص 15.

[2] – نفسه، ص 34.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

5. مناطق الاستقرار السكاني في المغرب الأوسط:

من خلال ما سبق يتضح لنا بأن الأوضاع السياسية والأمنية المتأزمة تحكمت بشكل مباشر وغير مباشر في رسم معالم ومناطق الانتشار والاستقرار السكاني بالمنطقة عن طريق تشجيع المناطق الآمنة على الاستقرار ودفع السكان إلى مناطق أكثر أمنا، دون أن ننسى العامل الاقتصادي والمتمثل في الجانب الزراعي والتجاري ودورهما في هذا الجانب عن طريق تركيز السكان على مدن ومراكز تجارية واقعة على شبكة الطرق والمراكز التجارية التي تربط بين مختلف مناطق المغرب الأوسط داخليا وخارجيا، إضافة إلى المناطق والأقاليم الزراعية والرعوية التي لعبت بدورها دورا مهما في هذا الجانب. وبدلك يمكننا تحديد خمس (5) مراكز لمناطق الاستقرار السكاني والتي هي: المنطقة الساحلية والشمالية، الجبال والمناطق الجبلية، المنطقة الداخلية، القبائل البدوية (المجال الترحالي والرعوي والبدوي) والمناطق الجنوبية أو الصحراء.

5. 1. المنطقة الساحلية والشمالية:

إن المتتبع لشبكة وخريطة المدن التي قدمها حسن الوزان في كتابه يجد أن هناك حضورا كبيرا لتلك التي تقع على الساحل أو على مقربة منه وفي المناطق الشمالية عموما مقارنة بغيرها من المناطق، وهذه الظاهرة لا تخص بلاد المغرب الأوسط فحسب وإنما شملت بلاد المغرب ككل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه المناطق شهدت استقرارا كبيرا للسكان ـــ طبعا مع مناطق أخرى ـــ، وهذا يؤكد على الاتجاه البارز في تللك الفترة هو انتقال المراكز الهامة نحو ساحل البحر[1] فعند تناول الوزان للجهة الشمالية

[1] – ابراهيم جدلة، السكان الحضر بإفريقية، المرجع السابق، ص ص 85 ـــ 100.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

للمغرب الأوسط نجد تكرار مصطلحات مثل: "المدينة الكبيرة"[1] "كبيرة جدا"[2] "مدينة كبيرة"[3]

كما أن المدن التي يتمركز فيها أكبر إحصاء لعدد الكوانين نجدها تتموقع في هده المناطق، مثل وهران التي بها 6000 كانون[4]، الجزائر 4000 كانون[5]، بجاية 8000 كانون[6] وقسنطينة التي بها 8000 كانون[7]. وفي اعتقادي فإن هناك ثلاث عوامل رئيسية ساهمت في استقرار نسبة مهمة من سكان المغرب الأوسط في الجهة الشمالية من البلاد وهي:

أولا: أن جل المراكز والعواصم السياسية التي كانت لها سلطة على أقاليم البلاد تقع في هده المنطقة، وهده المراكز هي: تلمسان، الجزائر، وبجاية وحتى قسنطينة باعتبارها عاصمة إقليمية والتي ما فتئت تنفصل عن أحيانا عن تونس وأحيانا عن بجاية وفي بعض الأحيان عن كليهما.

ثانيا: انعدام عنصر الأمن بالمناطق الداخلية البعيدة عن عواصم السلطة وأعينها، وهو أمر كفيل بجعل أغلبية السكان يفضلون النزوح والاستقرار في الجهات الشمالية والاستقرار بها بحثا عن الأمان الذي ربما لا ربما ستجده بالتواجد في مدن وأماكن قريبة من أعين الحكام ورجال الدولة.

---

[1]– عند حديثه عن مدينة تلمسان. الوزان، المرجع السابق، ص 17.

[2]– عند حديثه عن مدينة الجزائر. نفسه، ص 37.

[3]– عند حديثه عن مدينة وهران. نفسه، ص 30.

[4]– نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– نفسه، ص 37.

[6]– نفسه، ص 50.

[7]– نفسه، ص 50.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ثالثا: دون أن ننسى العامل التجاري ودوره في جعل العديد من المدن الساحلية في غاية الازدهار، إذ لعبت التجارة البحرية بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط دورا كبيرا في بروز مدن تجارية في غاية الرقي والازدهار، فبرزت في الضفة الشمالية مدن مثل جنوى، البندقية، مرسيليا وبرشلونة وغيرها، وبرزت في الضفة الجنوبية مدن لا تقل قيمة عن هذه المدن مثل طنجة، وهران، الجزائر وبجاية، مدن في غاية الازدهار الاقتصادي والعمراني والديمغرافي، وهو ما جعل من مدينة وهران ـــ مثلا ـــ منافسا قويا للعاصمة التقليدية تلمسان، حيث أصبحت عصب اقتصادها حيث ذكر الوزان أن جزء كبير من ميزانية الدولة الزيانية كان يأتي من مدينة وهران وميناءها وذلك قبل احتلالها من طرف الإسبان[1]، نفس الشيء ينطبق على بجاية لاكتسابها لمكانة تجارية واقتصادية هامة عن طريق حركية التجارة البحرية مع مدن حوض البحر الأبيض المتوسط، وبذلك استقلت تماما عن العاصمة تونس خاصة بعد ضعف الحفصيين في إفريقية.

2.5. الجبال والمناطق الجبلية:

قد يستغرب البعض من اعتبار الجبال والمناطق الجبلية من المناطق المأهولة بالسكان في المغرب الأوسط خصوصا مع هذه الفترة أي بداية القرن 10هـ/16م، أين شهدت المنطقة تردي كبير للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بفعل تأزم الوضع السياسي والأمني، لكن الواقع يثبت العكس تماما، إذ من خلال استقرائنا لكتابات الوزان حول بلاد المغرب الأوسط نجد بأن الجبال والمناطق الجبلية عموما كانت من المناطق المأهولة بالسكان.

ربما قد يزول هذا الاستغراب قليلا عندما نعرف أن للانفلات الأمني للبلاد ضلع كبير في ذلك، خصوصا مع تأزم الوضع السياسي في معظم مناطق وأقاليم المغرب الأوسط، لقد ذكرنا من قبل بأن للاضطرابات السياسية التي عصفت بكيان المنطقة

[1]– نفسه، ص 23 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في ظهور نوع من الهجرات التي اتخذت في معظمها طابع القسرية نحو مناطق آمنة بعيدا عن ويلات الحرب ومتاعبها وآلامها.

ولعل النزوح نحو رؤوس الجبال كان أحد الحلول المتبعة وقت الأزمات والفتن السياسية، وهذه الظاهرة قديمة جدا في بلاد المغرب، استخدمت منذ الفترات القديمة واستمرت حتى العصور اللاحقة من العصر الوسيط، تذكر إحدى الدراسات[1] نقلا عن بعض المصادر[2] بأن الحروب لعبت دورا كبيرا في بث هذا النوع من الهجرات، فعندما غزا النورماند معظم سواحل المغرب الأوسط مثل: جيجل، القل ومرسى الدجاج، كان سكانها يفرون منها إلى الجبال في فصل الصيف ويعودون إليها في الشتاء، ولما سارت عساكر الموحدين إلى القلعة كذلك هرب أهلها إلى رؤوس الجبال.

إضافة إلى هذا، فإن الجبال كانت منذ القديم معقل القبائل المتمردة الخارجة عن سيطرة السلطة والمتحررة من كل ضرائب اتجاه الدولة القائمة في اقاليمها ومناطقها، مما جعلها ندًّا قويا للسلطة الحاكمة بسبب تمتعها لقوة وشكيمة هائلة اكتسبتها من خلال

[1]– عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م ـــ دراسة اجتماعية واقتصادية ـــ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص: تاريخ الريف والبادية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة2، الموسم الجامعي: 1433 ـــ 1434هـ/ 2012 ـــ 2013م، ص 226.

[2]– الإدريسي أبو عبد الله الشريف (548هـ/1154م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي، الجزائر، 1983م، ص ص 159 ـــ 160، 174 . الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ق8هـ/14م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 538 .ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي المكارم الجزري الشيباني (ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، راجعه وحققه: يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ج9، ص373 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

تحررها من ضرائب السلطة وتحكمها في الطرق والمسالك القريبة من معاقلها الجبلية وتفرغها لممارسة نشاطها الرعوي والزراعي ومن ثم التجاري مع الأقاليم القريبة منها، وهذا ما انعكس ايجابا على وضعها الديمغرافي. وقد ضرب لنا الوزان بعض النماذج عن قبائل المغرب الأوسط الجبلية مثل: تلك القبيلة النبيلة التي تسكن **جبل الونشريش** والتي حاربت ملوك تلمسان عدة مرات حيث دامت هذه الحروب أكثر من ستين عاما بسبب مساندة ملوك فاس[1] وأيضا **الجبال التي توجد في شرق سهل الجزائر وجنوبه**، والتي تسكنها قبائل شديدة الباس **متحررة من كل إتاوة وافرة الغنى**[2] وكذا **الجبال التي تتواجد في المنطقة الواقعة شمال قسنطينة وغربها**، بحيث أن سكانها أغنياء لأنهم لا يؤدون أي خراج[3]

وهذا ما جعل كل من الجبال والمناطق الجبلية مناطق كثيرة الاستقرار والتواجد السكاني، وسنحاول في هذا الجدول ذكر أهم الجبال المنتشرة في ربوع المغرب الأوسط مع تبيان ما يدل على كثرة واكتظاظ سكانها وقوتهم، وذلك حسب ما ورد في الوزان دائما:

اسم الجبل	الوصف: (دلالة الاكتظاظ السكاني)	الصفحة
جبل مطغرة	"...هذا الجبل شاهق جدا، شديد البرودة، **لكنه كثير السكان**..."	ص 43
جبل بني ورنيد	"...يقع هذا الجبل على بعد ثلاثة أميال من تلمسان، **وهو كثير السكان**..."	ص 44

[1]– الوزان، المصدر السابق، ص 45.
[2]– الوزان، نفس المصدر، ص 46.
[3]– نفسه، ص 103.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

جبل ونشريس	"...هذا الجبل شاهق تسكنه قبيلة نبيلة...**ويبلغ عدد المقاتلين فيه نحو 20000 ألف** منهم ألفان وخمسمئة فارس..."	ص 45
جبال دولة الجزائر	"...يوجد شرق سهل الجزائر وجنوبه **عدد لا يحصى من الجبال** تسكنها قبائل شديدة البأس..."	ص 46
جبال بجاية	"...**تكاد دولة بجاية تكون كلها مؤلفة من جبال شاهقة** وعرة ذات غابات وعيون كثيرة، وتسكن هذه الجبال قبائل غنية نبيلة كريمة..."	ص 101
جبال دولة قسنطينة	"...**تكتظ** كل المنطقة الواقعة شمال قسنطينة وغربها **بجبال لاتحصى عددا**..."	ص 103
جبل بني بوسعيد (قرب تنس)	"...**يقطنه سكان كثيرون** فظاظ غلاظ القلوب..."	ص 45

الجدول 1: يمثل مدى الاكتظاظ السكاني لمختلف جبال المغرب الأوسط:

المصدر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2.

3.5. المنطقة الداخلية:

ونقصد بها تلك الواقعة بين المنطقة الشمالية والمنطقة الصحراوية، وورغم تمتعها بموقع استراتيجي هام بوقوعها على الطريق التجاري بين مدن ساحل المغرب الأوسط والسودان الغربي، وذلك باعتبارها همزة وصل بين مدن الشمال كوهران، بجاية والجزائر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وبين الصحراء والتي تعتبر بدورها بوابة السودان الغربي مثل: توات، تيكورارين[1]، تقرت وورقلة. رغم كل هذا إلا أن هذه المنطقة على ما يبدو لم تستفد من هذا الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به.

فالمفارقة هنا، إذ حدث العكس تماما، فمن خلال وصف الوزان لها نجد بأنها كانت أقل ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا وأقل كثافة للسكان، مثل **سطيف** التي "**لم يبق منها سوى مئة دار مسكونة**"[2] أي حوالي 1000 نسمة. ويعود هذا في رأيي إلى انعدام الأمن وتسلط الأعراب بسبب ضعف السلطة المركزية من جهة، وبسبب بعد هذه المناطق عن مراكز الحكم وأعين السلطة من جهة أخرى، فوقوع هذه المنطقة في أراضي سهلية ومنبسطة جعلها لقمة سائغة في يد الاعراب الذين أثقلو كواهلهم بالضرائب، ولقد ضربنا من قبل مثالا ب**مدينة المسيلة** التي عانت كثيرا من تسلط الأعراب وملك بجاية على جباية هذه المدينة مما أثر سلبا على حالتها الاقتصادية[3]. فالتسلط الجبائي المفروض على هذه المناطق من قبل الأعراب تارة ومن قبل السلطة تارة أخرى، إضافة قيام هؤلاء الأعراب بشن الكثير من الغارات على مدن وقرى الواقعة في هذا المجال، إذ كانت هذه الظاهرة منتشرة ومستفحلة بشكل كبير، كل هذا جعل ممارسة أي نشاط اقتصادي كالزراعة مثلا أمرا في غاية الصعوبة في ظل هذه الغارات والتهديدات، وهو ما انعكس سلبا على الوضع الديمغرافي لهذه المجالات.

[1]– وتسمى حاليا تيميمون، وهي دائرة تقع شمال ولاية أدرار وتتبع لها، مؤخرا أضحت ولاية جديدة وفق التقسيم الإداري الجديد.

[2]– الوزان، المصدر السابق، ص 53.

[3]– عن هذا الوضع ينظر: الوزان، نفسه، ص 52.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

4.5. الصحراء:

حديثنا عن الصحراء في هذه الفترة يعني حديثنا عن أحد مراكز العبور التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي، إذ يمكن اعتبار هذه المراكز بوابة الولوج إلى السودان الغربي من جهة وبوابة للولوج إلى ساحل بلاد المغرب من جهة أخرى، فالمغرب الأوسط كغيره من بلدان المغرب الأخرى تربطه علاقات تجارية كبيرة منذ القديم مع منطقة السودان الغربي، المعقل التاريخي للذهب والعبيد، مما نجم عن هذه العلاقة إنشاء شبكة من الطرق والمسالك التجارية البرية بين المنطقتين، شكلت فيه مدن الصحراء أو مدن الواحات أهم مراكز عبور هذه المسالك.

وعلى ذكر مدن الواحات، فقد استفادت هذه الأخيرة أيما استفادة من تموقعها الاستراتيجي على شبكة الطرق والمسالك التجارية، وانعكس ذلك إيجابا على ازدهارها الاقتصادي وعلى توسعها عمرانيا وديمغرافيا، يذكر أحد الباحثين[1] بأن الطريق التجاري البري: سجلماسة ـــ مالي انحرف بعض الشيء نحو الشرق في زمان ابن بطوطة (أي في منتصف القرن 8هـــ/14م) وذلك بغرض الوصول إلى **واحات توات**[2]، هذه الأخيرة – أي واحات توات– أضحت محطة ضرورية للمشتغلين بالتجارة الصحراوية مستندا على تشديد عبد الرحمن ابن خلدون على الأهمية التي صارت لهذه الواحات في تنظيم المبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي، وذلك في معرض حديثه ـــ أي ابن خلدون ـــ عن بني يامداس من زناتة حيث قال: "...ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من المشرق إلى المغرب واخرها من جانب المشرق يسمى

[1]– حسن حافظي علوي، دراسات صحراوية الماء والإبل والتجارية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص ص 228 ـــ 229.

[2]– تقع حاليا معظم مناطق هذا الإقليم فيما يعرف إداريا بولاية أدرار.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

تمنطيت[1] **وهو بلد مستبحر العمران**، وهو محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه..."[2]، ويضيف نفس الباحث[3] بأن مرور ابن بطوطة أثناء عودته من مالي إلى المغرب عبر الطريق الذي يربط في جزء كبير منه المغرب الأوسط ببلاد السودن (عبر الهكار ثم توات ثم سجلماسة)، إضافة إلى تشديد ابن خلدون على أهمية هذه الواحات في النشاط التجاري بين المغرب والسودان الغربي لأكبر دليل على التحولات المهمة التي طرأت على اتجاه المسالك التجارية الصحراوية في القرن 8هـ/14م، وما عرفته من ميل تدريجي نحو الشرق[4]الشيء الذي انعكس إيجابا على كل من واركلان وتوات اللتين استفادتا هي الأخرى من انحراف الطرق نحو

[1]– تتبع إداريا في الوقت الحالي لولاية أدرار.

[2]– ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، 1421هـ ــ 2000م، ص ص 76 ــ 77. نقلا عن: حسن حافظي علوي، المرجع نقسه، ص 229.

[3]– حسن حافظي علوي، نفسه، ص 235.

[4]– علل الباحث هذا التحول في مسار الطرق التجارية من الغرب باتجاه الشرق قليلا إلى ضعف السلطة المرينية بعد وفاة السلطان أبي عنان فارس سنة (758هـ/1358م)، وانعدام الأمن بالمجالات الجنوبية للمغرب الأقصى وانفتاح أباطرة مالي على المشرق بعد حجة منسي موسى سنة (724هـ/1324م)، وإقبال التجار المصريين على أسواق السودان الغربي. ينظر: حسن حافظي علوي، دراسات، المرجع السابق، ص 235. أيضا ينظر: حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م، ص ص 419 ــ 428.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الشرق[1]، كما أن القوافل التجارية كانت في هذه المرحلة تمر بواحات تابلبالت ما بين حوض الساورة وتافيلالت ومن هناك تتجه إلى تلمسان[2]

كما أكد ابن خلدون أيضا على الأهمية التي اصبحت لواحات تيكورارين في نفس الفترة وعلى انتعاشها أيضا حيث قال: "...ومن هذه القصور قبلة تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين **وهي كثيرة تقارب المائة** في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت في العمران **وغصت بالساكن**...وفيهم التجار إلى بلاد السودان..."[3]، دون نسيان تقرت التي يصفها ابن خلدون بأنها "**مصر مستبحر العمران** بدوي الأحوال كثير المياه والنخل..."[4].

ويُفهم من كلام ابن خلدون عن هذه المدن والقصور من خلال عباراته التالية: "بلد مستبحر العمران" أو "واستبحرت في العمران" و"غصت بالساكن" على ازدهارها العمراني والديمغرافي وذلك بسبب الأهمية الاقتصادية التي أضحت لهذه المراكز، وبالرغم من أن ابن خلدون لم يصرح فعليا عن عدد ساكنة هذه التجمعات السكانية، إلا أنه يقدم لنا اطباعا عاما على الوضع الديمغرافي لها والذي وكما يبدو فإن أقل ما يقال عنه أنه كان منتعشا بسبب العامل الاقتصادي كما قلنا آنفا، إذ استفادت هذه المراكز التجارية الكبيرة من تموقعها الاستراتيجي على شبكة الطرق التجارية التي تربط السودان الغربي بالمغرب الأوسط. لكن هذا الازدهار الاقتصادي والعمراني والديمغرافي نتحدث

[1]– حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، المرجع نفسه، ص 425.

[2]– حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 77، نقلا عن: حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، المرجع نفسه، ص 426.

[4]– ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 65.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

عنه تزامن مع فترة حياة ابن خلدون الذي استقينا منه هذه المعلومات (أي في القرن 8هـ/14م)، فهل استطاعت هذه المناطق الصحراوية أن تحافظ على هذا الازدهار في فترة حسن الوزان، أي بعد حوالي قرنين من هذا التاريخ؟

يبدوا أن الإجابة عن هذا السؤال ستتضح معالمها بسهولة عند حديث الوزان عن كل من مدينتي تقرت وورکلة، فعن تقرت يورد قائلا: "...وفي تقرت نحو **ألفين وخمسمائة كانون...وهي عامرة بالصناع والنبلاء الأغنياء** الذين يملكون حدائق النخيل...**وتوجد حول تقرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أو أربعة...**"[1]، ويقول عن ورکلة:" مدينة أزلية...**ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى**، الصناع فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أكذر، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد لاسيما من قسنطينة وتونس، يحملون إلى ورقلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان..."[2]. يفهم من خلال الوصف الأخير لمدينة ورقلة مدى ازدهارها عمرانها وديمغرافيتها نتيجة نشاطها التجاري الكبير، إذ كانت هذه المدينة أهم مراكز العبور من وإلى بلاد السودان، ومركز رئيسي لتبادل السلع والبضائع بين تجار بلاد السودان وبلاد المغرب، هذه الخصائص تنطبق تماما على المدن ساحل المغرب الأوسط كبجاية ووهران، مما يدل على أن مدن شمال المغرب الأوسط (كبجاية ووهران) وجنوبه (كتقرت وورکلة وتيكورارين) أضحت مدنا تجارية لا تقل أهمية عن المدن التجارية الأوروبية شمال المتوسط، هاته المدن التي لعبت فيها التجارة الخارجية والداخلية عصب الحياة وشريان الاقتصاد للمناطق والأقاليم التي تربطها والقريبة منها.

[1] – الوزان، المصدر السابق، ص 135.

[2] – الوزان، نفسه، ص 136.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

كان هذا عن الجهة الشرقية من المجالات الجنوبية لواحات المغرب الأوسط، ماذا عن الجهة الغربية لهذه المنطقة؟ فلنضرب مثالا **بتيكورارين** التي كانت في زمن ابن خلدون قصور كثيرة تقارب المئة مستبحرة العمران غاصة بالسكان[1]، نجد الوزان يقول عنها بأنها "**منطقة مأهولة** في صحراء نوميديا...حيث يوجد **ما يقرب من خمسين قصرا وأكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل**، وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل لأن تجار بلاد البربر ينتظرون هنا تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا"[2]، مما يدل على أن المنطقة قد حافظت نسبيا على تطورها العمراني والديمغرافي والاقتصادي عما كانت عليه فترة ابن خلدون، يبقى دائما للعامل التجاري دور كبير في ذلك. وعبارة الوزان "هنا مجمع القوافل" تدل بشكل صريح على أن هذه المنطقة أضحت محطة لا غنى عنها في الطريق التجاري: السودان ـــ المغرب الأوسط، الشيء الذي انعكس إيجابا على التطور الاقتصادي والعمراني والديمغرافي لمدن وقصور هذا الإقليم.

في معرض حديث الوزان عن مدن واحات جنوب المغرب الأوسط وأقاليمه الجنوبية لاحظنا بأن هذه الأخيرة كانت منتعشة ومزدهرة ديمغرافيا، من خلال العبارات الكثيرة التي توحي لنا بهذا الوضع، وهو الأمر الذي الذي سنحاول تبيانه في الجدول التالي:

الجدول2: دلالة الازدهار الديمغرافي والعمراني للمناطق الجنوبية للمغرب الأوسط: المصدر: الوزان، وصف إفريقيا، ج2.

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 77.

[2] – الوزان، نفسه، ص 133.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

المنطقة أو الإقليم	دلالة الازدهار الديمغرافي	الصفحة
تبلبلت	"هو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا...وهناك **ثلاث قصور عامرة بالسكان**..."	129
تسبت	"**إقليم مأهول** في صحراء نوميديا..."	133
تيكورارين	"**منطقة مأهولة** في صحراء نوميديا...حيث **يوجد ما يقرب من خمسين قصرا وأكثر من مئة قرية** بين حدائق النخيل"	133
مزاب	"**منطقة مأهولة** في قفار نوميديا...**تشتمل على ستة قصور وعدة قرى**..."	134 و135
تقرت	"**وفي تقرت نحو ألفين وخمسمائة كانون**...وهي **عامرة بالصناع والنبلاء الأغنياء** الذين يملكون حدائق النخل...**وتوجد حول تقرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة** على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة..."	135 و136
وركلة	"مدينة أزلية...**ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، الصناع فيها كثيرون**، وسكانها أغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أكذر، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد لاسيما من قسنطينة وتونس..."	136
بسكرة	"...مدينة عريقة في القدم...**وهي الآن عامرة كما ينبغي**..."	138

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

5.5. المجال البدوي :

إلى جانب الاستقرار، عرفت بلاد المغرب ظاهرة البداوة منذ أقدم العصور[1]، وفي هذا الإطار يذكر ابن خلدون بأن المدن والأمصار بإفريقية والمغرب قليلة " والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام وكان عمرانها كله بدويا و لم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها، والدول التي ملكتهم من الإفرنجة والعرب لم يطل أمد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها، فلم تزل عوائد البدوية وشؤونها فكانوا إليها أقرب فلم تكثر مبانيهم...فلذلك كان عمران أفريقية والمغرب كله أو أكثره بدويا أهل خيام وظواعن وقياطن وكنن الجبال..."[2]

كما ساهمت الهجرة الهلالية هي الأخرى في تأكيد طابع البداوة ونشره في بلاد المغرب، فحسن الوزان عندما أراد الحديث عن هذه الفئة المجتمعية التي تشكل جزءا هاما من التركيبة السكانية لبلاد المغرب، نجده يخصص لهم عنوانا حمل اسم "**العرب القاطنون بإفريقيا تحت الخيام لا في الدور**"[3] وعبارة: "تحت الخيام لافي الدور" تؤكد طابعها البدوي واستطاعتها المحافظة على هذا الطابع والنمط الخاص من العيش رغم مرور أزيد من أربعة قرون ونصف على قدومهم لبلاد المغرب.

فبالإضافة إلى استطاعة هذه القبائل المحافظة على طابعها البدوي، نجدها اتسمت بعادة الترحال شتاءا وصيفا بين الشمال والجنوب أو بين الشرق والغرب، فالوزان عند

[1]– إبراهيم جدلة، المجموعات البدوية القبلية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، أشغال الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة ـــ المدينة ـــ المجال، في العالم العربي الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـــ جامعة تونس ـــ، تونس، أفريل 2003، ص 154.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 (مقدمة ابن خلدون)، ص 446.

[3]– الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 41.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

حديثه عن هذه القبائل العربية وانتشارهم على حسب مناطقهم ببلاد المغرب مع ذكر أعدادهم، تحدث عن انتشار العديد من هذه القبائل في مناطق متعددة من المغرب الأوسط مثل: **صبيح** الذين "يعيشون في تخوم مملكة الجزائر ويتلقون إعانات مالية من ملك تلمسان، ولهم في نوميديا أقاليم خاضعة لهم، ومن عادة هؤلاء الأعراب أن يرحلوا كذلك في فصل الشتاء إلى الصحراء لكثرة إبلهم"[1]. أيضا **بنو عامر** "المقيمون بتخوم مملكتي تلمسان ووهران، يرحلون إلى صحراء تيكورارين ويستأجرهم ملك تلمسان...وعددهم نحو ستة آلاف من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا"[2]، وأيضا **عروة** "القاطنون بضواحي مستغانم...وعددهم نحو ألفي فارس"[3] وكذا **عقبة** "بضواحي مليانة...وهم نحو ألف فارس"[4]و **مسلم** "التي تسكن مفازة المسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية"[5] **ورياح** "التي تسكن قفار ليبيا جنوبي قسنطينة وتمتد سلطتهم على جزء من نوميديا...وعددهم خمسة آلاف فارس"[6] كما " تقطن **سويد** القفار الممتدة نحو مملكة تنس..."[7]

هذا وهناك قبائل بدوية أخرى تسكن أقصى جنوب صحراء المغرب، وبالضبط في المنطقة الواقعة بين بلاد المغرب وشمال بلاد السودان، وهذه القبائل هي على الاغلب

[1]– الوزان، المصدر نفسه، ص 51.
[2]– نفسه، ص 51.
[3]– نفسه، الصفحة نفسها.
[4]– نفسه، الصفحة نفسها.
[5]– نفسه، الصفحة نفسها.
[6]– نفسه، ص 52.
[7]– نفسه، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

قبائل صنهاجة الصحراء أو الملثمون، حيث حدد ابن خلدون مواطنهم بين بلاد البربر وبلاد السودان[1] وبخصوص المغرب الاوسط، فقد ذكر الوزان ثلاث صحاري تتاخم في جهتها الشمالية واحاته الجنوبية، وسأحاول ذكر هذه الصحاري مع الاقتصار على ذكر الحدود الشمالية لهاته الصحاري فقط والتي تؤكد وقوعها على الأراضي الجنوبية للمغرب الأوسط أو بتعبير أدق على حوافه الجنوبية، وعدم ذكر حدود هذه الصحاري الأخرى نظرا لطولها وتشعبها، وهذه الصحاري هي:

ـــ الصحراء التي يسكنه شعب ونزيكة: "...تتاخم شمالا صحراء سجلماسة **وتبلبت وبني كومي**...يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو..."[2].

ـــ الصحراء التي يسكنها شعب تاركة: "...تتاخم شمالا مفازات **توات وتيكورارين ومزاب**..."[3].

ـــ الصحراء التي يسكنها شعب لمطة: تتاخم شمالا قفار تكرت ووركلة وغدامس، يجتازها التجار الذين يذهبون من **قسنطينة** إلى بلاد السودان[4].

حسن الوزان عند حديثه عن هذه الصحاري تخلى عادته التي طالما اتصف بها والتي هي إعطائنا إحصاءات ولو تقريبية عن المناطق والقبائل التي يذكرها فهو لم يعرج بتاتا إلى أعداد هذ القبائل حيث اكتفى هده المرة فقط بذكر أماكن انتجاعها وترحالها وانتشارها في إشارات ناذرة جدا. لكن من خلال استقرائنا لما كتبه الوزان عن هذه الصحاري يتضح لنا أنها كانت قليلة السكان بالنظر إلى مساحتها الشاسعة، ومنه قلة

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241.
[2]– الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص 150.
[3]– الوزان، نفسه، ص 151.
[4]– نفسه، ص 153.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

أعداد القبائل التي تنتشر ضمن مجالاتها، وذلك بسبب طبيعة هذه الصحاري القاحلة والجافة والشديدة الحر مع قلة الآبار والمياه الصالحة للشرب وهو ما عسَّر على التجار المرور عليها من وإلى بلاد السودان خاصة عند حديثنا عن الصحراء الأولى والثالثة التي تمر بغرب وشرق الصحراء الجنوبية للمغرب الأوسط على التوالي، وعلى العكس من ذلك نجد الصحراء التي تمر بالجهة الوسطى ليست وعرة وخطيرة مثل سابقتيها، إذ يوجد على مسافة كل يومين ماء جيد في آبار عميقة جدا[1]

6. محاولة إحصائية لساكنة المغرب الأوسط من خلال المعطيات الإحصائية لحسن الوزان:

6. 1.ملاحظات أولية:

ذكرنا سابقا في بداية المقال مدى أهمية كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان في التعرف على الاوضاع العامة للمناطق التي تتطرق لها وكذا في التعرف على الخريطة البشرية والقبلية والجانب الديمغرافي عموما للمناطق التي تعرض لها الوزان، غير أنه وللأسف فإن كل ما ورد في مصنف الوزان هذا لم يغط كافة المناطق الخاصة بالمغرب الأوسط وبغيره من البلدان الأخرى، صحيح بأنه زار وتعرض للعديد من المناطق المهمة للمغرب الأوسط، لكنه وللأسف لم يغط كل ترابه، خاصة عند الحديث عن المعطى الإحصائي المتعلق بالجانب الديمغرافي والسكاني، وفي هذا الصدد يذكر أحد الباحثين[2] أنه إذا كان الوزان قد حرص على عدم إغفال الإشارة إلى تقديرات بشأن أعداد سكان الجهات التي زارها، حتى أن العكس يبدو استثناءا، إلا أنه لم يتعرض لذكر كل

[1] – نفسه، ص152.

[2] – محمد استيتو، الأزمة الديمغرافية في تاريخ المغرب الحديث، مجلة كنانيش، ع1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـــ جامعة محمد الأول ـــ وجدة ـــ المملكة المغربية ـــ، 1999، ص 116.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

التجمعات السكانية التي زارها بنفس الدقة والاهتمام، ناهيك عن المناطق التي يزرها بالمرة. كما أنه يسكت في الكثير من الأحيان عن ذكر عدد الكوانين في المراكز التي يتحدث عنها، أو يكتفي بإضفاء صفة الكبيرة أو الصغيرة على هذه المراكز بدون توضيح[1]، وعليه من أجل تعليل ذلك، لابد من استحضار ظروف تأليف الوزان لكتابه، فقد كتبه في بداية الربع الثاني من القرن 16م (1526) واعتمد فيه على الذاكرة بعد أن قضى بإيطاليا أزيد من عشر سنوات[2] و لم يكتبه اعتمادا على وثائق تحت اليد، علاوة على أن النسخة الأصلية لهذا الكتاب ـــ أي النسخة العربية ـــ مفقودة وأن ما بين أيدينا ليس إلا ترجمات، مما يكون ترتب عنه بعض الأخطاء، بل الكثير من الأخطاء[3]. كل هذا لا يمنع من أن يكون كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان أن يبقى أهم مصدر للاطلاع على الأحوال العامة للمغرب في العقدين الأولين من القرن 16م، وخاصة على أحواله الديمغرافية[4]

عموما وفي إطار تعاملنا مع المعطيات الإحصائية الواردة في مصنف الوزان واجهتنا عدة معضلات أساسية وهي:

أولا: استعمال مصطلح كانون وهو أمر فصلنا فيه بداية المقال باعتماد 10 أفراد لكل كانون لعدة اعتبارات ذكرناها آنفا.

[1]– عثمان المنصوري، المرجع السابق، 84.

[2]– عثمان المنصوري، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– محمد استيتو، المرجع السابق، ص 116.

[4]– محمد استيتو، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ثانيا: عدم زيارة الوزان لكل المناطق المذكورة في كتابه، وهو ما سيجعله يعتمد بالضرورة على مصنفات من سبقوه كما يذكر هو في مقدمة كتابه[1] وعلى السماع من أشخاص آخرون زاروا هذه المناطق، وبخصوص المغرب الأوسط فقد زار المنطقة سنة 921ه/1516م في رحلة إلى الحجاز سلك فيها مع ركب الحجاج الفاسيين الطريق الشمالية عبر مدن تازا فدبدو فتلمسان فتونس[2]، وبخصوص المناطق الجنوبية ووحات المغرب الأوسط، فإن الوزان قام برحلة إلى بلاد السودان صحب فيها عمه الذي كان مكلفا عام 917ه/1511م بسفارة بين ملك فاس محمد الوطاسي البرتغالي وملك سنغاي محمد أسكيا الكبير[3]، ولا نعرف إن كان الوزان قد زار الواحات الجنوبية للمغرب الأوسط خاصة الغربية منه كتوات وتيكورارين في رحلته من وإلى بلاد السودان.

ثالثا: لم يذكر الوزان بنفس الدقة والاهتمام جميع المدن والقرى والجبال التي تطرق لها، فأحيانا نجده يعطينا معلومات في غاية الدقة والاهتمام لدرجة الإطناب مع ذكر عدد كوانينها وكافة المعلومات المتعلقة بها، ونجده في بعض الأحيان يكتفي بإعطائنا انطباع عن حجم هذه المدينة أو القرية صغيرة كانت أم كبيرة، وفي بعض الأحيان الأخرى لا يمدنا بأي من العنصرين السابقين واقصى ما يمدنا حولها هو بعض المعلومات السطحية الغير مهمة، هذا مع تركيز الوزان على المدن والمناطق الهامة والمعروفة على حساب غيرها والتي تكون أقل اهمية ومكانة وأقل شهرة مما يجعل معرفتنا بهذه المناطق أو

[1]– ذكر الوزان في مقدمة كتابه أنه اعتمد بخصوص بلاد البربر على عدة مصنفات تاريخية من المؤرخين الأفارقة ـــ حسب تعبيره ـــ في العديد من المرات، مثل ابن الرقيق الذي ذكر بأنه قرأ تاريخه مرارا. الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 38.

[2]– الوزان، نفسه، مقدمة المترجم، ص 10.

[3]– الوزان، نفسه، مقدمة المترجم، ص 9.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

بتلك التي لم يزرها بالأصل مجهولا، وهذا ما يجعل من محاولتنا الإحصائية لعدد ساكنة المغرب الأوسط في هذه الفترة مجرد محاولة تقريبية لأخذ انطباع عام عن حجم وعدد هؤلاء السكان.

وانطلاقا من كل ذلك وتأسيسا على ما سبق ومن أجل تغطية النقص الوارد في كتاب الوزان، سنحاول الاستعانة في بعض الأحيان بمصدر لا يقل أهمية عن مصنف الوزان، والذي هو كتاب أفريقيا لصاحبه الإسباني مارمول كاربخال، والذي ألفه أو أتمه على الأصح بعد سنة 979هـ/1571م بعد أن اطلع على كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، ونسج على منواله بل اقتفى أثره حذو النعل بالنعل ونقل منه فصولا كثيرة حرفا بحرف ومهما يكن من أمر فإن كتاب أفريقيا لمارمول يبقى مع ذلك مفيدا في جغرافية إفريقية وتاريخها في القرن السادس عشر، كذيل مكمل لكتاب الحسن الوزان متفردا بما سجله عيّنةً من أحداث ووصف من مواقع لم يقف عليها غيره[1].

أما بخصوص القبائل البدوية التي تقطن الجبال أو تلك التي تجوب مختلف ربوع ومناطق المغرب الأوسط بكل جهاته، فإن الوزان لم يقدم لنا كعادته عدد الكوانين التي تخص هذه القبائل وهذا راجع لكونها قبائل بدوية متخذة من الترحال ومن الانتجاع طابعا لها ومن البداوة أسلوب حياة لها، فتستغني هنا في هذه الحالة عن الدور أو الديار التي هي من خصائص الحضر سكان المدن والقرى المستقرة، ولتعوضها بالخيمة التي هي من خصائص البدو، حسن الوزان عند حديثه عن هذه القبائل يعطينا في أغلب الأحيان عدد المقاتلين الذي يخص كل قبيلة فقط، وهو ما يصعب علينا معرفة العدد الإجمالي لأفراد القبيلة بشكل عام، وفي سعينا لمحاولة إحصاء العدد الإجمالي لكل قبيلة على حدى وكل القبائل الواردة عند الوزان بصفة عامة، فسنحاول استخدام الطريقة التي انتهجها

[1]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 1، (مقدمة المترجم)، ص ص 6 ــ 7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

كاريت E.Carette في محاولته لمعرفة أعداد سكان القبائل العربية في النصف الثاني القرن 16م[1] من خلال القيام بعملية إحصاء لأعداد المحاربين لدى القبائل العربية المغربية كما وردت عند مارمول كاربخال، مستندا إلى طريقته المعروفة بإضافة الربع الذي يمثل ـــ في نظره ـــ عدد العاجزين عن حمل السلاح ثم مضاعفة العدد الإجمالي ثلاث مرات[2]، ولنضرب مثالا على هذه الطريقة: عدد المقاتلين القادرين على حمل السلاح في قبيلة ما هو: 3000، ثم نضيف لهذا العدد ربعه أي 750 (هو عدد النساء والأطفال والمسنين من هذه القبيلة العاجزين عن حمل السلاح)، يصبح الناتج عندها: 3750، ثم يضاعف هذا الناتج ثلاث مرات، فيكون العدد الإجمالي: 11250 نسمة[3].

2.6.إحصاء المنطقة الشمالية والساحلية:

القرية أو المدينة	عدد الكوانين أو الدور[4]	النسمة (عدد السكان)	المصدر
تلمسان	8000 كانون[1]	80 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 19

[1]– E.CARETTE; Recherche sur l'origine des prancipales tribus de l'Afrique septentrionale et particulierement de L'Algérie, Paris, 1853.

نقلا عن: محمد استيتو، المرجع السابق، هامش رقم 26، ص 133

[2]– محمد استيتو، المرجع نفسه، ص 119.

[3]– قام كاريط E.Carette باستعمال هذه الطريقة في كتابه السابق الذكر:

E.CARETTE;Recherche sur l'origine des prancipales tribus de l'Afrique septentrionale et particulierement de L'Algerie, Paris, 1853, p,66..

نقلا عن: محمد استيتو، المرجع السابق، هامش رقم 26، ص 133. وقد نَقلتُ طريقة ونموذج شرح هذه الطريقة من نفس هذا المرجع، الهامش نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– دائما باحتساب 10 أفراد لكل كانون أو دار.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وهران	6000 كانون	60 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 30
مستغانم	1500 كانون	15 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 32
البطحاء[2]	لم يذكر	500 نسمة	الوزان،ج2، ص 29
بريشك[3]	لم يذكر	700 نسمة	الوزان، ج2، ص

[1]– ذكر الوزان بأن عدد كوانين مدينة تلمسان بلغ 13 ألف في زمن السلطان الزياني أبي تاشفين الأول (718 ــ 737هـ/ 1318 ــ 1338م) أي في ق 8هـ/14م، وهو ما يعادل 130 ألف ساكن ــ دائما باحتساب 10 أفراد لكل كانون ــ، كما أن الأستاذ عبد العزيز فيلالي قدم لنا رقما مقاربا لهذا العدد وهو رقم 125 ألف نسمة، لكن الوزان لم يقدم لنا عدد كوانين هذه المدينة أثناء زيارته لها في القرن 10هـ/16م، وهذا الرقم المقدم أعلاه ما هو إلا اجتهاد منا لمحاولة تدارك هذا النقص الذي واجهنا، وذلك بافتراضنا أن عدد كوانين مدينة تلمسان في فترة الوزان يعادل عدد كوانين بجاية المقدر بـ8000 كانون ــ حسب الوزان دائما ــ، وهذا راجع في نظرنا إلى تشابه مكانتيهما وظروفهما بصفتيهما عاصمتين إقليميتين لمركزين سياسيين مهمين منذ فترة طويلة. ينظر: الوزان، ج2، ص 19. و: عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة ــ الجزائر ــ، 2014، ص 111. (على التوالي).

[2]– كانت مدينة في غاية الازدهار خاصة في الفترة الموحدية، لكن سرعان ما لحقها الخراب بفعل الحروب التي استعرت بني الزيانيين والمرينيين في القرن 8هـ/14م، إلى أن استوطنها أحد المتصوفة (الشيخ سيدي سينا) في فترة الوزان، والذي استقر بها وبلغ عدد مريديه الذين يعيشون معه 500 مريد. وتقع حاليا أنقاض هذه المدينة قرب مدينة غيلزان. ينظر: الوزان، ج2، ص ص 27 ــ 29، وكذا الهوامش رقم 35ــ 36ــ 37 ــ 38، من المصدر نفسه، الصفحات نفسها.

[3]– في الحقيقة لم يذكر الوزان عدد سكان هده المدينة ولا حتى عدد كوانينها، وإنما استقينا هذا العدد من المترجم الذي لم يذكر بدوره من أين أتى بهذا العدد، وأضاف المترجم قائلا: بأن عدد السكان هذه المدينة بلغ السبعمائة حتى سنة 1533م، وأنها ــ أي هذه المدينة ــ لم يبق لها أثر حاليا، وأن سورها هدمه زلزال عام 1531م. ينظر: الوزان، ج2، ص 32، الهامش رقم: 46.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

			32(الهامش رقم: 46)
شرشال	1200 بيت	12 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 34
الجزائر	4000 كانون	40 ألف نسمة	الوزان، ج، ص 37
تمانتفوست[1]	500 دار	5 آلاف نسمة	مارمول، ج2، ص371
تدلس[2]	1000 كانون	10 آلاف نسمة	مارمول، ج2، ص 372
المهدية[3]	لم يذكر	ألفي نسمة	مارمول، ج2، ص 372
بجاية	8000 كانون	80 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 50
جيجل	500 دار	5 آلاف نسمة	الوزان، ج2، ص 51
قسنطينة	8000 كانون	80 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 56
ميلة	3000 كانون	30 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 60
بونة (عنابة)	300 كانون	3 آلاف نسمة	الوزان، ج2، ص 60
اشتورة (قرب سكيكدة)	200 دار	ألفي نسمة	مارمول، ج3، ص 6
		المجموع	424 ألف و500 نسمة

الجدول3: يمثل إحصاء عدد سكان المنطقة الشمالية والساحلية:

[1]– وهي عند الوزان باسم تنمد فوست، وهي حاليا الخرائب الرومانية لمستعمرة روسكوني، شرق عاصمة الجزائر على بعد 27 كلم منها. ينظر: الوزان، ج2، هامش رقم 71، ص 42. (المترجم)

[2]– وهي عند الوزان باسم دَلّس. ينظر الوزان، ج2، ص 42.

[3]– ذكر مارمول بأنها تقع في بسيط أفيح فوق جبل عال على بعد خمسة عشر فرسخا من مدينة الجزائر جهة الجنوب في عمق البلاد. ينظر مارمول، ج2، ص 372. (ونحن صراحة لم نهتدي بعد إلى موقع هذه المدينة حاليا).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

المصدر: الوزان، المصدر السابق، ج2/ مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2 – ج3. ـــ قراءة وصفية للجدول:

ارتكزت أكبر نسبة من السكان في هذه المنطقة في ثلاث مدن رئيسية: تلمسان، بجاية وقسنطينة، وذلك لأنها عواصم سياسية ومدن إقليمية للدول التي تتربع حول كيان المغرب الأوسط منذ فترة طويلة امتدت لأزيد من ثلاث قرون وصولا لفترة حسن الوزان مطلع القرن 10هـــ/16م، وهنا لابد أن نشير أن للعاملين الاقتصادي (التجاري) والأمني دور كبير في هذه النسبة الكبيرة للسكان التي استقرت في هذه المدن الثلاث الكبرى.

كما تم تسجيل بداية صعود مدينتين ساحليتين على حساب المدن الثلاث المذكورة أعلاه، أولاهما مدينة وهران التي بلغ عدد سكانها 60 ألف نسمة، وكذا مدينة الجزائر التي بلغت حاجز ال 40 ألف، وهو ما يعني بدية أفول نجم العواصم التقليدية وصعود نجم هاتين المدينتين اللتان ستلعبان دورا محوريا ومؤثرا على الصعيد السياسي لهذه المنطقة التي هي على أبواب مشهد تغير كبير في موازين القوى للسلطة السياسية التي ستأخذ بزمام أمور الحكم.

أما باقي مدن المنطقة الشمالية الاخرى، فلم تتخطى في معظمها حاجز ال 20 ألف، بل هناك بعض المدن الساحلية المهمة التي لم يتجاوز عدد سكانها بضع آلاف نسمة فقط، مثل: جيجل وعنابة وغيرها، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في أول ملاحظة بتركز السكان على المدن والعواصم الرئيسية فقط، الشيء الذي يؤدي بنا إلى تسجيل فوارق كبيرة في نسبة سكان هذه المنطقة بين مدن بلغ عدد سكانها حاجز الـــ 80 ألف وبين مدن اخرى يبلغ عدد سكانها ال 5 آلاف نسمة فقط.

غير أنه بقي أن ننبِّه أن المدن الواردة في هذا الجدول لا تمثل كل المدن التي تعرض لها الوزان، ذلك أن هناك مدنا ذكرها هذا الأخير و لم نذكرها في هذا الجدول وهذا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

بسبب أن الوزان لم يعطينا عدد كوانينها، أي أننا اقتصرنا في هذا الجدول على ذكر تلك المدن التي فيها تصريح لعدد كوانينها فقط، وفيما يلي جدل يشمل المدن التي ذكرها الوزان و لم يذكر عدد كوانينها:

المدينة	الانطباع والوصف (حول الجانب العمراني والديمغرافي طبعا)	الصفحة
ندرومة	لم يرد	13
تبحيرت[1]	"مدينة صغيرة"	14
هنين	"مدينة صغيرة"	15
أرشكول	"مدينة كبيرة"	16
العباد	"مدينة صغيرة شبه ربض...وهي كثيرة الإزدهار وافرة السكان والصناع..."	24
تِسَّلة	"...يعيش أهل تسلة تحت الخيام ،لأن المدينة خربت..."	25
المرسى الكبير	"مدينة صغيرة"	31
مزكران	"...مدينة صغيرة...كثيرة السكان..."	32
مليانة	"مدينة كبيرة جدا"	34
تنس	لم يرد	35
مازونة	"...كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تتعرض للتخريب...حتى أصبحت قليلة السكان..."	36

[1] – اضمحلت تبحيرت، لكن بقي اسمها على بعد نحو 30 كلم شمال غرب ندرومة. ينظر: الوزان، ج2، ص 14، الهامش رقم 18 (المترجم).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

تقدمت[1]	"...ثم خربت تقدمت...حتى لم يعد الزائر يشاهد بها الآن سوى آثار الأسس..."	41
المدية	لا يوجد	41
مسيلة	لا يوجد	52
نكاوس	لا يوجد	53
القل	"مدينة كبيرة...متحضرة مليئة بالصناع..."	54
سكيكدة	لا يوجد	54
تِيفَشْ	"...دمرت...و...بقيت في ملك إحدى القبائل الإفريقية...لا تستعملها إلا كمستودع لحبوبها..."	63
تِبسَّة	لا يوجد	63

الجدول 4: يمثل المدن التي تتطرق لها الوزان دون ذكره لعدد كوانينها:

المصدر: الوزان، المصدر السابق،ج2.

وإذا افترضنا مثلا بأن هذه المدن أعلاه في الجدول، والتي لم ترد في الجدول الإحصائي الخاص بهذه المنطقة، بأنها أقل قيمة من النواحي الاقتصادية والعمرانية والديمغرافية فإننا سنصطدم بما ذكره الوزان بشأن ثلاث مدن من هذا الجدول وصفها بالكبيرة والتي هي: أرشكول، مليانة والقل، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا بأن معلومات الوزان ورغم أهميتها، إلا أنها تفتقر للدقة كونها لم تغط كافة مدن ومناطق

[1] – تقدمت (أو تاقدمت) تقع على بعد تسع كلومترات من مدينة تيارت الحالية. ينظر: الوزان، ج2، ص 41، الهامش رقم: 68 (المترجم).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وأقاليم المغرب الأوسط، "وأنه ـــ أي الوزان ـــ لم يتعرض لذكر كل التجمعات السكانية التي زارها بنفس الدقة والاهتمام ناهيك عن المناطق التي لم يزرها بالمرة"[1].

وعموما، فإن جل المدن المذكورة في الجدول أعلاه والتي لم نوردها في الجدول الإحصائي للمنطقة الساحلية والشمالية، ذكرها الوزان بصفتها مدنا صغيرة أو مخربة، وفي بعض الأحيان لم يعطينا أي انطباع حولها، وهذا يوحي لنا **بأنها مدنا غير مهمة أو أقل شأنا عمرانيا وديمغرافيا**، وعليه سنحاول أن نضيف **100 الف نسمة** أخرى إلى النتيجة التي تحصلنا عليها في في الجدول الخاص بإحصاء هذه المنطقة كاجتهاد منا لمحاولة تعويض نسبة ساكنة المدن الواردة في الجدول اعلاه، إذ في اعتقادنا أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تتعدى مجتمعة حاجز الـــ100 ألف ساكن باعتبارها مدنا قليلة الأهمية في معظمها وأقل شأنا عمرانيا وديمغرافيا كما أسلفنا من قبل، فيكون الناتج الإجمالي لعدد ساكنة المنطقة الشمالية والساحلية **524 ألف نسمة**، أي في حدود **ما يزيد عن النصف مليون ساكن**، وتقريبا هو النفس الرقم أو النتيجة التي توصلت إليها إحدى الدراسات[2] عن عدد السكان الحضر في إفريقية في العهد الحفصي.

3.6.إحصاء الجبال والمناطق الجبلية:

الجبال أو المنطقة	عدد المقاتلين	عدد السكان[3]	المصدر
جبل الونشريس	20 ألف مقاتل	75 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 45

[1]– محمد استيتو، المرجع السابق، ص 116.

[2]– ابراهيم جدلة، السكان الحضر بإفريقية، المرجع السابق، ص ص 85 ـــ 100.

[3]– يتم احتساب عدد أفراد القبيلة استنادا لعدد مقاتليها باستعمال طريقة كاريط E.Carette التي تحدثنا عنها سابقا.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

جبال دولة قسنطينة	40 ألف مقاتل	150 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 104
الجبل القريب من ندرومة	25 ألف مقاتل	93 ألف و750 نسمة	مارمول، ج2، ص 296
إقليم بني راشد	25 ألف مقاتل	93 ألف و750 نسمة	الوزان، ج2، ص 27
مدينة كوكو وجبلها[1]	6500 مقاتل	24 ألف و375 نسمة	مارمول، ج2، ص 374
جبال بني جبير[2]	5000 مقاتل	18 ألف و750 نسمة	مارمول، ج2، ص
جبل بني عباس[3]	1708 مقاتل	6 آلاف و832 نسمة	مارمول، ج2، ص
		المجموع:	462 ألف و457 نسمة

الجدول5: يمثل إحصاء لعدد سكان الجبال والمجالات الجبلية:

[1]– هي عند الوزان باسم: جبال دولة الجزائر والتي حدد موقعها بشرق سهل مدينة الجزائر وجنوبه، نفس الشيء عند مارمول كاربخال والتي ذكرها بالاسم المذكور أعلاه، وتقع حسبه في سلسلة الجبال الواقعة عند حدود سهل مدينة الجزائر التي تسمى بسهول متيجة من جهات الجنوب والشرق. ينظر: الوزان، ج2، ص 46 وكاربخال، ج2، ص 373. (على التوالي).

[2]– هو أعظم جبل في سلسلة جبال إقليم بجاية، هذه الأخيرة التي يسميها الوزان بنفس الاسم أي: جبال بجاية. ينظر: كاربخال، ج2، ص 384، والوزان، ج2، ص 101. (على التوالي).

[3]– هو أيضا جزء من سلسلة جبال إقليم بجاية الدي تحدثنا عنه في الهامش السابق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

المصدر: الوزان، المصدر السابق، ج2./مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2.

ـــ قراءة وصفية للجدول:

شمل الجدول معظم المناطق الجبلية التي تتواجد بالمغرب الاوسط مثل: جبل الونشريس وجبال دولة الجزائر وبجاية (منطقة القبائل حاليا) وجبال دولة قسنطينة (شمال قسنطينة مثل: سكيكدة وجيجل)، وغيرها.

الوزان وضمن حديثه عن الجبال الخاصة بالمغرب الأوسط لم يعطينا عدد المقاتلين الخاص بكل جبل في كافة الجبال التي تطرق لها في كتابه، مما جعلنا نقتصر في هذا الجدول على ذكر الجبال التي ذكر فيها عدد المقاتلين فقط حتى نتحصل على عدد ساكنته باستعمال طريقة كاريط السابقة الذكر، وهو الأمر الذي بنا إلى عد التطرق لجبال أخرى مهمة مثل: جبال منطقة الأوراس وغيرها.

لكن مع ذلك، تبقى المعلومات الواردة في هذا الجدول مهمة بتطرقها لمعظم الجبال والمناطق الجبلية المعروفة بالمغرب الأوسط، وعليه سنحتفظ بالرقم الإحصائي لهذه المنطقة الذي تحصلنا عليه، والذي يساوي قرابة **النصف مليون (500 ألف) نسمة.**

6 .4.إحصاء المنطقة الداخلية:

المدينة أو المنطقة	عدد الكوانين	عدد السكان	المصدر
سطيف	100 كانون	1000 نسمة	الوزان، ج2، ص 53
زمورة[1]	لم يذكر	2000 نسمة	مارمول، ج2، ص 383
		المجموع:	3000 نسمة

[1]– تتبع إداريا في الوقت الحالي لولاية برج بوعريريج على الحدود الجنوبية لولاية بجاية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الجدول 6: يمثل إحصاء عدد سكان المنطقة الداخلية:

المصدر: الوزان، المصدر السابق، ج2./مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2.

ـــ قراءة وصفية للجدول:

هذه المنطقة كانت أقل اهتماما من حيث الحديث عنها والتطرق لها عند الوزان وحتى عند كربخال، ولم نتحصل منهما على كثير معلومات حول جانبها العمراني والديمغرافي، والفكرة العامة التي يمكن أخذها عن هذه المنطقة هي أنها كانت أقل سكانا من المناطق الأخرى وأنها كانت تعيش فراغا سكانيا كبيرا.

إذ يمكن تعليل ذلك بالدور الذي لعبه الأعراب في هذا الجانب، حيث أصبحت هذه المناطق السهلية والمنبسطة (في أغلبها) مناطق مكشوفة وعارية أمام تحركات الأعراب في إطار رحلتهم بين الشمال والجنوب والشرق والغرب صيفا وشتاءا، وأضحت (هذه المناطق) مرتعا لهم ولتعسفهم الأمني وتسلطهم الجبائي، وبالتالي لعب عنصرا غياب الأمن والشطط الجبائي ـــ تارة منهم وتارة أخرى من السلطة الحاكمة ـــ دورا مهما في نزوح وهجرة سكان هذه المناطق نحو الشمال بحثا عن الأمان والذي ـــ ربما ـــ سيجدونه في المجالات القريبة من أعين السلطة.

مع ذلك، فالرقم الذي تحصلنا عليه في الجدول الخاص بهذه المنطقة يبقى رقم هزيل جدا ولا يعكس الحجم الحقيقي للسكان، لكنه في المقابل يعطينا صورة وانطباع عام عن حجمه، والذي ـــ أي حجم السكان ـــ أفضل ما يقال عنه أنه كان منخفضا، مما يجعلنا لا نذهب بعيدا في توقعنا لنسبة ساكنة هذه المنطقة، وسنحاول المجازفة مرة أخرى ونقول بأنه لا يمكن أن يتعدى حدود الـــ **100 ألف نسمة**، وهذا استنتاج لا يبعد إلا أن يكون مجرد اجتهاد شخصي من قبلنا طرحناه لمحاولة تغطية عنصر عدم توفر معلومات كافية حول هذه المنطقة عند حسن الوزان.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

5.6.إحصاء المنطقة الصحراوية:

لم يستخدم الوزان عند حديثه عن المناطق الصحراوية أو بالأحرى المناطق الحضرية بالصحراء، لم يستخدم ـــ كعادته ـــ وسيلته الإحصائية المعهودة: الكانون، إلا في حالة واحدة ووحيدة عند حديثه عن مدينة تقرت، حيث استخدم الوزان في هذه المرة مصطلح "**القصر**" في عملية إحصائه للتركيبة العمرانية والديمغرافية لهذه المنطقة، فماذا نقصد أولا بالقصر؟

يُقصد من تسمية القصر أو لقصر Lagsar في مناطق الأطلس وكافة المناطق الصحراوية على أنها تلك التكتلات السكنية التي تقع فوق أماكن مرتفعة وقريبة من الأودية، ويطلق هذا اللفظ أيضا على الكتل البنائية التي نجدها في مناطق الصحراء مجمعة ومشكلة لنا أحياء وقرى تدعى ب (لقصور Lagsor)[1]، فالقصر الصحراوي الذي يعرف بالقصر أو (القصر بسكون اللام كما هو متداول) في المناطق الصحراوية بقرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية يحيط بها أحيانا سور وأحيانا تخلو تماما من مثل هذه العناصر الدفاعية التي تعوض بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بمختلف أرجاء المساكن[2]، ومصطلح القصر يستعمل للدلالة على تجمعات سكنية آهلة بالسكان أو هجرت من طرف أصحابها، وهو مدينة محصنة بموقعها أو بواحاتها، كما ورد أيضا بأن القصر بناء ضخم محصن، خاص بسكان الصحراء، له

[1]– محمد مزراق، قصبة القصر الكبير "باجودة" بعين صالح، مجلة آفاق علمية، مج9، ع 2، المركز الجامعي بتامنغست ـــ الجزائر ـــ، 2017، ص ص 193 ـــ 194.

[2]– هجيرة تمليكشت، مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر (مساكن قصر تمنطيط أنموذجا)، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع 15، ص 309.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

شكل معماري مقيد في هذه المناطق وتعرف المناطق التي يبنى فيها أو يجاورها بالواحات[1]، وهذا القول مناف تماما بذلك الذي يرى بأن: كلمة القصر تقابلها كلمة الدوار والدشرة كما وتستعمل أيضا للدلالة على السكن القروي[2]، كما ويخالف أيضا القول الذي يرى: أن هناك فرقا بين القصر والمدينة، باعتبار القصر أقل شأنا من المدينة سياسيا واقتصاديا وعمرانيا وديمغرافيا، وأن القصر ما هو إلا نوع من التجمعات البدوية الزراعية التي لا ترقى إلى مستوى المدينة على مستوى هذه النواحي[3]، ونحن هنا نخالف هذا القول ونعتبره قد جانب الصواب، وربما قد ينطبق حال القصور هذه على الفترة المعاصرة ونهاية الفترة الحديثة من تاريخ المنطقة، أي بعد تراجع الأهمية والمكانة التجارية للحواضر والقصور الصحراوية عقب تراجع حركية تجارة القوافل الصحراوية بين الشمال والجنوب (السودان)، التي وبالرغم من تراجعها تدريجيا ـــ أي تجارة القوافل ـــ ابتداءا من نهاية العصور الوسطى بعد اكتشاف الأوروبيين لطرق التجارة البحرية نحو أفريقيا وغيرها من القارات، إلا أن نشاط هذه الحركية التجارية الصحراوية بقي في الاستمرار إلى غاية الفترة الاستعمارية. ذكر الوزان أن عدد كوانين تقرت قد بلغ 2500 كانون أو مترل، هذا يعني بأن هذه المدينة الصحراوية وصل عدد سكانها لحدود ال 25 ألف نسمة دون احتساب سكان القصور والقرى الأخرى القريبة منها والمحيطة بها، أيضا

[1]– لبتر قادة، قصر موغل بولاية بشار مقاربة تاريخية وأثرية، مجلة منبر التراث الأثري، ع 5، جامعة أبو بكر بلقايد ـــ تلمسان ـــ الجزائر ـــ، ديسمبر 2016م، ص 148.

[2]– حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، المرجع السابق، ص 114.

[3]– ينظر: قبابلة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار صحراوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـــ جامعة محمد خيضر ـــ، بسكرة ـــ الجزائر ـــ، 2009 ـــ 2010، ص 17 ـــ 18.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

يذكر مارمول بأن عدد سكان وركلة وحدها دون احتساب القصور والقرى المحيطة بها قد بلغ 6000 نسمة[1]، كما أن أحد الرحالة المحليين[2]في بداية الربع الثاني من القرن 19م (بالضبط سنة 1829م)[3] يذكر بأن عدد منازل قصر غرداية أكبر قصور وادي ميزاب قد بلغ 2400 مسكن، أي ما يعادل 24 ألف ساكن، كما ويذكر أحد العسكريين الفرنسيين[4] بأن عدد منازل قصر تيميمون أكبر قصور منطقة تيكورارين قبيل منتصف القرن 19م (بالضبط سنة 1845م)[5] قد تراوح ما بين 500 و600 مترل أي ما بين 5000 و6000 ساكن. إن هذه الإحصاءات والشواهد تؤكد لنا بوضوح بأن هذه المدن القصورية الصحراوية والتي يعد سكانها بالآلاف، لا تقل أهمية عن مدن الشمال عمرانيا وديمغرافيا واقتصاديا، بل تعدت إلى أكثر من ذلك بأن فاقت الكثير من هذه المدن على مستوى مختلف الجوانب السابقة الذكر.

مما سبق يتضح لنا بأن القصر ما هو إلا شكل من أشكال المدينة الصحراوية، هذه الأخيرة تختلف عن نظيراتها الشمالية من حيث خصائص عمرانية ميزتها عن غيرها استمدتها من طبيعة المناخ والبيئة الصحراوية المميزة لهذه المناطق.

---

[1]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 386.

[2]– الأغواطي: الحاج بن الدين، رحلة في شمال أفريقيا والسودان والدرعية، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، (طبعة خاصة)، 2011م. ص 93.

[3]– تم تحديد هذا التاريخ من مقدمة محقق ومترجم الرحلة. ينظر: الأغواطي، المصدر نفسه، ص 83.

[4]–E.Daumas, Le sahara Algerien: Etudes géographique, statistiques et historique sur la région au sud des établissements Français en Algérie, Paris,1845.p.282.

[5]– اعتمدت في تحديد هذا التاريخ بالضبط انطلاقا من سنة صدور هذا الكتاب الموجود في واجهة الكتاب.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

لكن وبالرغم من كثرة الدراسات التي عنيت بالقصر كشكل من أشكال العمارة الصحراوية، إلا أنها لم تتعرض في الغالب إلى الوضع والجانب الديمغرافي لهذه القصور أو حتى إعطائنا ولو إحصاءات تقريبية عن هذا الجانب خاصة في فترة بداية القرن 10هـ/16م التي هي فترة دراستنا. استعمل الوزان في معرض حديثه عن المنطقة الصحراوية وسيلتين أو وحدتين لمعرفة مدى الحجم السكاني والعمراني لها، واللتان هما **القصر والقرية**، لكنه لم يقدم لنا كعادته عدد كوانين كل قصر وكل قرية إلا في حالة واحدة ووحيدة تتعلق بتقرت[1] وهو ما يصعب علينا مهمة الإحصاء الديمغرافي لهذه القصور، وهو ما يجعلنا أيضا نتساءل عن عدد ساكنة كل قصر!

لكن وبالرغم من كل ذلك، سنحاول الوصول غلى محاولة تقريبية لعدد الكوانين الذي يمكن أن تصل إليه معظم هذه القصور خلال فترة الدراسة والذي يمكن تعميمه على كافة القصور. ذكر مارمول كربخال بأن عدد سكان وركلة قد بلغ 6000 نسمة[2]عندما قام عثمانيو الجزائر بحملتهم على مدينتي تقرت[3] ووركلة، ويضيف ويذكر مارمول في نفس الوقت بأن العثمانيين استحوذوا في نفس الحملة على أكثر من 5000

[1]– عندما ذكر بأن عدد كوانينها 2500 كانون. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 135.

[2]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 386.

[3]– حملة صالح رايس سنة 1552م: سبب هذه الحملة هو استبداد الجلالبة بإمارتهم بتقرت وامتناعهم عن أداء الجباية والمغرم للعثمانيين. ينظر: رضوان شافو، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531 ـــــ 1830م)، مجلة القرطاس، ع2، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ـــ الجزائر ـــ، جانفي 2011م، ص 150. ينظر كذلك: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت ن، ص 81.و : ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2 منقحة، 2008، ص 480.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

من العبيد ذكورا وإناثا[1]،وهو ما يجعلنا نتحفظ نوعا ما عن هاته الرواية. الوزان يذكر أيضا أن عدد كوانين تقرت بلغ 2500 كانون[2]، وهو رقم ضخم في نظرنا لا يمكن تعميمه على سائر القصور الصحراوية الأخرى، وذلك باعتبار توفر مدينة تقرت على خصائص ومميزات ساعدتها أن تشهد هذا النمو والازدهار الديمغرافيين، بفعل دورها السياسي الريادي كعاصمة لإمارة بني جلاب[3]، ناهيك عن دورها التجاري والاقتصادي والذي أقل ما قد يقال عنه أنه كان مزدهرا وذلك من خلال وصف الوزان للمدينة.

أما ما ذكره الأغواطي بشأن عدد منازل قصر غرداية أكبر قصور وادي ميزاب والبالغ عدده 2400 منزل[4] فإنه يبدو لنا ضخم ومبالغ فيه نوعا ما، خاصة مع تراجع الازدهار التجاري للقوافل التجارية وللقصور الصحراوية كمراكز لهذه التجارة في الفترة التي تزامنت مع فترة الأغواطي أي بداية الربع الثاني من القرن 19م (1829م). هذا ما يجعلنا نعتقد بأن الرقم الذي قدمه الأغواطي ربما كان يقصد به عدد منازل منطقة وادي ميزاب بأسرها!

وتبقى الرواية الأقرب للدقة ـــ في نظرنا واعتقادنا ـــ هي ما قدمه الكولونيل (العقيد) الفرنسي دوماس DAUMAS عن عدد منازل قصر تيميمون أكبر قصور منطقة تيكورارين والذي يتراوح بين 500 إلى 600 منزل[5] أي ما بين 5000 و6000 نسمة، ومن المعلوم بأن دوماس قدم لنا هذا الإحصاء سنة 1845م، أي بعد حوالي ثلاث قرون من

[1]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 386.
[2]– ينظر الهامش رقم 110.
[3]– للمزيد عن هذه الإمارة ينظر: رضوان شافو، المرجع السابق، ابتداءا من الصفحة 148 وما بعدها.
[4]– ينظر الهامش 106.
[5]– ينظر الهامش 108.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وصف الوزان لهذه المنطقة التي كانت في غاية الازدهار العمراني والتجاري. وإذا أخذنا بعين الاعتبار تراجع التجارة الصحراوية وما تبع ذلك من تراجع مراكزها الصحراوية التجارية، فمنه يحتمل أن يكون عدد منازل قصر تيميمون قد يضاعف على الأقل مرتين في الفترة التي زارها الوزان أين كانت في أوج عطائها وازهارها في مطلع القرن 10ه/16م، أي ما بين 1000 و1200 كانون أو مترل أي ما بين 10 آلاف و12 ألف ساكن، ومع ذلك لا نستطيع المجازفة ونتخذ من 1000 كانون رقم تقريبي نعممه على جميع قصور المناطق الصحراوية المذكورة عند الوزان لأنه رقم يبدو لنا أنه ضخم جدا، وسنحتفظ بما ذكره دوماس الذي قدم لنا عدد 500 كانون لقصر تيميمون وهو رقم سنحاول تعميمه على جميع القصور الصحراوية، وبالمناسبة، لم يقدم لنا دوماس هذا الرقم بشأن قصر تيميمون فقط بل خص به قصور صحروية أخرى مثل عين صالح[1]، تقرت[2] وورقلة[3] وغيرها، وعليه سنفترض بأن يكون عدد منازل وكوانين معظم قصور المنطقة الصحراوية يكون في حدود **500 كانون**، وهو رقم سنحاول تعميمه على جميع عدد القصور التي ذكرها الوزان.

أما الوسيلة الثانية التي استعملها الوزان هي: **القرية**، هذه القرى التي يتبين لنا من خلال استقراء ما كتبه الوزان عن هذه المناطق الصحراوية بأنها قرى تقع على مسافة قريبة من القصور أو بعيدة منها يختص أهلها بالزراعة والفلاحة، أي زراعة النخيل بالدرجة الأولى، مما يدل على أن القرية الصحرواية المذكورة عند حسن الوزان ما هي إلا شكل من أشكال المجتمع الريفي والبدوي المستقر والممارس للزراعة والقريب من

[1] –E.Daumas, Le sahara Algerien, op. cit., p. 292.

[2] –Ibid, p. 124.

[3]– Ibid, p. 72.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

المناطق التي تتواجد فيها القصور، هذه الأخيرة التي تمثل بدورها شكل من أشكال التمدن والتحضر في المدن القصور الصحراوية، كما أن مارمول كاربخال يسمي هذه القرى بمصطلح مداشر مما يدل على أن وضعها وحجمها الديمغرافيين محدود ومتواضع جدا، وعليه سنحاول المجازفة ونتخذ من عدد **100 شخص** لكل قرية كمعيار لحجم ساكنة كل قرية من هذه القرى.

المنطقة	عدد الكوانين	العدد[1]	المصدر
تقرت	2500 كانون	25 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 135
وركلة	لم يذكر	6 آلاف نسمة	مارمول، ج2، ص 386
المنطقة	عدد القصور والقرى	عدد السكان[2]	المصدر
تبلبلت	3 قصور عامرة	15 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 129
تسبت[3]	4 قصور	20 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 133
تيكورارين	50 قصرا و100 قرية	260 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 133
ميزاب	6 قصور وعدة قرى	30 ألف قرية	الوزان، ج2، ص

[1]– دائما باحتساب 10 أفراد لكل كانون.

[2]– وذلك باحتساب 500 كانون لكل قصر أي 5000 ساكن لكل قصر، و100 شخص لكل قرية كما أسلفنا سابقا أعلى هذا الجدول.

[3]– تسابيت: إحدى الدوائر التي تتبع إداريا في الوقت الحالي لولاية أدرار.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

			134 ــ 135
بني كومي[1]	8 قصور و15 قرية	41 ألف و500 نسمة	الوزان، ج2، ص 131
إقليم وكدة[2]	3 قصور كبيرة وقرى عديدة	15 ألف نسمة	الوزان، ج2، ص 132
	المجموع		412 ألف 500 نسمة

ــ جدول 7: يمثل إحصاء لعدد سكان المنطقة الصحراوية.

المصدر: الوزان، المصدر السابق، ج2./مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2.

ــ قراءة وصفية للجدول:

المناطق الواردة في هذا الجدول شملت معظم أقاليم وبلاد المناطق الصحراوية القصورية مثل: بلاد ريغ والمزاب وتيكورارين والساورة وغيرها.

لكن معلومات حسن الوزان حول هذه المنطقة ــ في بعض الأحيان ــ عامة وتفتقر إلى الدقة والتفصيل، ولنضرب مثلا عند حديثه عن مدينتي تقرت ووارکلا أين ذكر أنه توجد حولهما عدة قصور وقرى دون ذكر لعدد هذه القصور والقرى، مما يجعلنا عاجزين عن معرفة هذا العدد بالتفصيل، بل نجده يسكت في بعض الأحيان عن إعطائنا معلومات تخص الجانب الديمغرافي لمدن وقصور ذكرها و لم نوردها في هذا الجدول مثل: بسكرة، طولقة والدوسن من بلاد الجريد، ناهيك عن المناطق التي لم يتعرض لها أصلا مثل: قصور توات ومركزها تمنطيت، أين اقتصر على منطقة تسابيت من هذا الإقليم،

[1]– تسمى حاليا منطقة تاغيت وتتبع إداريا لولاية بشار، مؤخرا أصبحت تتبع لولاية بني عباس وفق التقسيم الإداري الجديد.

[2]– يقع حاليا في مدخل مدينة بشار، عاصمة ولاية بشار.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

إضافة إلى عدم تعرضه لإقليم تيدكلت[1] المحاذي لقصور توات الوسطى، وأيضا بعض أقاليم شمال الصحراء مثل قصور منطقة الأغواط وغيرها.

كما أن الرقم الذي قدمه الوزان حول منطقة تيكورارين (50 قصرا و100 قرية، أي 260 ألف نسمة باستعمال الطريقة التي انتهجناها في الجدول) يبدو ـــ في اعتقادنا ـــ استثنائيا ومبالغا فيه كونه عدد كبير وضخم، إذ لو جمعنا عدد القصور والقرى التي ذكرها الوزان حول واحات وقصور صحراء المغرب الأوسط لما بلغ هذا العدد (50 قصرا و100 قرية)، نحن نعرف بأن منطقة تيكورارين كانت على درجة كبيرة من الازدهار الاقتصادي والعمراني والديمغرافي، وهذا الأمر سبق وأن أشرنا إليه، لكن ما لاحظناه أن هناك تباينا وفرقا شاسعا بين المعطى الإحصائي المتعلق بهذه المنطقة (تيكورارين) وبغيره من المناطق والأقاليم الأخرى.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن معلومات الوزان حول هذه المنطقة مرتبكة وأنها قد جانبت الصواب في بعضها ـــ وليس كلها ـــ، وأن الوزان لم يزر كل أقاليم المنطقة واعتمد في ذلك على السماع من غيره وعلى ذاكرته أثناء تواجده في إيطاليا.

ونعود ونؤكد بأن هذا كل هذا لا يمنع من أن يكون ما ورد عند الوزان حول هذه المنطقة وفي غيرها من المناطق في غاية الأهمية. وعليه، فبما أن المعطيات الديمغرافية الإحصائية للوزان قد شملت معظم البلاد الصحراوية للمغرب الأوسط، فسنحتفظ بالرقم

[1]– يتبع حاليا جزء من هذا الإقليم لولاية أدرار وبالضبط في دائرة أولف، ويتبع جزء آخر منه لولاية تمنراست وبالضبط في دائرة عين الصالح التي أصبحت بدورها ولاية وفق التقسيم الإداري الجديد الصادر مؤخرا .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

الذي تحصلنا عليه قرابة **النصف مليون** (500 ألف) نسمة ونعتقد أنه يعكس حجم ساكنة قصور وواحات المنطقة الصحراوية.

6.6.إحصاء القبائل البدوية:

القبيلة	مناطق الإنتشار	عدد المقاتلين	عدد السكان[1]	المصدر
بنو عامر (رهط من بني هلال)	مقيمون بتخوم مملكة تلمسان، يرحلون إلى صحراء تيكورارين	6000 فارس	22 ألف و500 نسمة	الوزان، ج1، ص 51
هبرة	ديارهم في السهل الممتد بين وهران ومستغانم	100	325 نسمة	الوزان، ج1، ص 51
رياح	يقيمون بقفار ليبيا جنوبي قسنطينة وتمتد سلطتهم على جزء من نوميديا	5000	18 ألف و750 نسمة	الوزان، ج1،
سويد	تقطن القفار الممتدة نحو مملكة	18 ألف	67ألف و500نسمة	الوزان، ج1، ص 52

[1]– يتم احتساب عدد أفراد القبيلة استنادا لعدد مقاتليها باستعمال طريقة كاريط E.Carette التي تحدثنا عنها سابقا.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

	تنس			
ثعلبة	كانت تسكن سهل الجزائر وتنتقل في الصحراء حتى تكديت ولهم سيطرة على مدينتي الجزائر ودلس	3000	11ألف و250نسمة	الوزان، ج1، ص 52
الهدج	يسكنون في صحراء مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد	500	1875 نسمة	الوزان، ج1، ص 56
خراج	يسكنون صحراء بني كوميى وفجيج ولهم أراض زراعية كثيرة في نوميديا وإعانات مالية يتلقونها من ملك تلمسان	4000	25 ألف نسمة	الوزان،ج1، ص 56
أولاد صبير	يضربون في الصحاري المتاخمة	3000	11 ألف و250 نسمة	مارمول، ج3 ص 166

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

	لإقليم تقورت			
أولاد حمرون وأولاد السيد	يجوبون بالمنطقة القريبة من ورغلة	50 ألف	187 ألف و500 نسمة	مارمول، ج3، ص 167
عتبة	يقطنون على حدود مليانة	11ألف و500	43ألف و125	مارمول، ج3، ص 103
أولاد صبيح (من أولاد الأثبج)	يعيشون على حدود تلمسان وفي نوميديا	23 ألف	86 ألف و250	مارمول، ج1، ص 102
			المجموع:	475ألف و325 نسمة

الجدول 8: يمثل إحصاء عدد سكان القبائل البدوية:

المصدر: الوزان، المصدر السابق، ج2./مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج1 – ج3.

ـــ قراءة وصفية للجدول:

اشتملت معظم القبائل العربية المعروفة عنها بأنها استوطنت مجالات المغرب الأوسط من بني هلال كالأثبج ورياح، ومن المعقل كالثعالبة.

كما لاحظنا في هذا الجدول تنوع للمناطق التي تتواجد فيها هذه القبائل في كافة جهات المغرب الأوسط.

صحيح بأن هناك قبائل ذكرها الوزان دون إعطائنا عدد مقاتليها لكننا تجاوزنا ذلك بأن استعننا بمارمول كربخال، رغم أننا سجلنا تباينا وفرقا كبيرا بين معطيات المصنفين مع الحرص على عدم تكرار ما ورد عندهما، أيضا مع إعطاء الوزان الأولوية دائما دون اعتبار مهما كان.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وعليه سنحتفظ بالرقم والعدد الذي تحصلنا عليه في الجدول الخاص بهذه المنطقة والبالغ قرابة **النصف مليون** (500 ألف) نسمة.

7.6.عدد السكان الإجمالي*:

من خلال ما سبق، وتأسيسا على العملية الإحصائية التي قمنا بها حول مناطق الاستقرار السكاني للمغرب الأوسط نتحصل على ما يلي[1]:

- ⇦ المنطقة الشمالية والساحلية: قرابة ما يفوق النصف مليون نسمة.
- ⇦ الجبال والمنطقة الجبلية: قرابة النصف مليون نسمة
- ⇦ المنطقة الداخلية: قرابة ال 100 ألف نسمة
- ⇦ المنطقة الصحراوية: قرابة النصف مليون نسمة
- ⇦ القبائل العربية البدوية: قرابة النصف مليون نسمة

* **ملاحظة مهمة: إن الأرقام التي سنذكرها في هذا العُنصر، والتي خلُصنا إليها بشأن عدد السكان، لا تعدو أن تكون مجرد أرقام نسبية وتقديرية توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، وليست أرقاما حقيقية تاريخية مؤكدة، أي أنها مجرد أرقام استقيناها من النصوص التاريخية التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة وفق تحليلنا وفهمنا الخاص، ولهذا نحن هنا لا نسلم تماما بصحة هذه الأرقام والنتائج وفي نفس الوقت لا ننكرها أو نتجاوزها باعتبار أنها تساعدنا على أخذ انطباع – ولو أولي– عن الوضع الديمغرافي للمغرب الأوسط في هذه الفترة بشكل عام، وعن نسبة سكان المغرب الأوسط في هذه الفترة بشكل خاص.**

[1]– من أجل التأكد من ذلك وفهم أكثر لهذه النتيجة النهائية التي خلصنا إليها، يُرجى الرجوع إلى المجموع الذي تحصلنا عليه في كل جدول على حدى (الجداول الإحصائية) وعلى القراءة الوصفية لهاته الجداول.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

وباحتساب المجموع وبعملية بسيطة نستطيع أن نقول بأن عدد سكان المغرب الأوسط في فترة بداية القرن 10هـ/16م، كان ما بين: **المليونيين والمليونين والنصف (ما بين 2 مليون و2,5 مليون) نسمة**، وذلك من خلال كتابات الوزان حول المنطقة.

بقي أن نقول بأن ما هذه إلا محاولة بسيطة لأخذ انطباع عام عن حجم ساكنة المغرب الأوسط (الجزائر) في هذه الفترة المهمة من تاريخ هذه البلاد، في انتظار إثراء هذا الموضوع من قبل الباحثين والدارسين في قادم المحطات.

7.الخاتمـــة:

نستطيع في آخر هذه الدراسة أن نخلص بما يلي:

أولا: مدى أهمية كتاب وصف إفريقيا للوزان في كتابة التاريخ الحضاري (الاجتماعي والاقتصادي) لبلاد المغرب ككل وبلاد المغرب الأوسط على سبيل المثال، بسبب غنى هذا المصنف بمعلومات فريدة وقيمة تساعد بشكل أو بآخر على إزالة الغبار على الكثير من المواضيع الشائكة المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب، وقد يكون موضوع التاريخ الديمغرافي أحد تلك المواضيع.

ثانيا: يعتبر كلا من: التراجع والتقهقر الديمغرافي والعمراني إحدى أهم عنصرين طبعا الوضع الديمغرافي في بلاد المغرب الأوسط مطلع القرن 10هـ/16م، دون أن ننسى انتشار عنصر غياب الأمن في مناطق عديدة من هذه البلاد ودوره في استفحال ظاهرة هجرة السكان بمختلف أشكالها وأبعادها.

ثالثا: لعبت الأوضاع السياسية والأمنية المتأزمة دورا كبيرا في تحديد أماكن استقرار وتوزيع وانتشار التركيبة السكانية لبلاد المغرب الأوسط، فكانت المناطق القريبة من أعين السلطة (كالمنطقة الشمالية) إضافة إلى المناطق الوعرة (كالجبال والصحراء) وكذا القبائل العربية البدوية (من هلال ومعقل)، كانت كل هذه العناصر بمثابة مراكز

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

ثقل في نسبة وعدد سكان كل مركز من هذه المراكز، مع تسجيل نسبة تقارب في حجم سكان هذه المراكز الأربع، في حين كانت المنطقة الداخلية التي تتوسط المنطقة المنطقة الشمالية والصحراء أكثر منطقة شهدت فراغا ديمغرافيا حادا بسبب الانتشار الكبير للأعراب وتسلطهم في هذه المنطقة إضافة إلى معاناتها ـــ أي المنطقة ـــ من ظاهرة الشطط الجبائي المارس عليها من قبل الأعراب من جهة ومن السلطة المركزية من جهة أخرى.

رابعا: بعد المحاولة الإحصائية التي قمنا بها لساكنة المغرب الأوسط من خلال المعطيات الإحصائية لحسن الوزان خلصنا إلى أن عدد السكان كان **ما بين المليونين والمليونين والنصف (ما بين 2 مليون و2,5 مليون) نسمة**، وهذا يؤكد ما خلصنا إليه في ثاني نتيجة من هذه الخاتمة، أين قلنا بأن التراجع والتقهقر الديمغرافي والعمراني أهم عنصرين طبعا الوضع العام لديمغرافية المغرب الأوسط في فترة بداية القرن 10هـــ/16م، إذ بالرغم من المساحة الكبيرة التي يتمتع بها المغرب الأوسط غربا وشرقا شمالا وجنوبا، رغم كل هذه المساحة الهائلة إلا أن عدد سكانه كان شحيحا جدا ولا يعكس تماما كِبر هذه المساحة، وما هذا التراجع ـــ في نظرنا ـــ إلا تراكمات وتتابع لقرون سابقة كانت بدايته ما أفرزته قضية تفكك دولة الموحدين الشاسعة والمترامية الأطراف، وانتقال منطقة المغرب الإسلامي على إثر ذلك إلى مرحلة جديدة امتازت بالتأزم السياسي والصراع العسكري بين الدول التي خلفت الدولة الموحدية والتي ادعت كل منها أحقيتها في وراثة العرش الموحدي، وهو ما أثر سلبا على الوضع الحضاري والعمراني والديمغرافي لهذه المنطقة، وهذا الوضع نفسه الذي سيتصف به –في الغالب– مغرب ما بعد الموحدين بشكل عام في القرون الثلاثة الموالية وصولا إلى نهاية الفترة الوسيطة وبداية العصر الحديث.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

بقي أن نعود ونؤكد بأن النتيجة التي خلصنا إليها بشأن عدد سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، ما هي إلا مجرد محاولة بسيطة منا لأخذ انطباع عام عن حجم ساكنة المغرب الأوسط (الجزائر)، في انتظار مزيدا من الدراسات التي ستثري هذا الموضوع مستقبلا من قِبل الدارسين والباحثين المهتمين بمجال التاريخ الديمغرافي عموما والتاريخ الديمغرافي للمغرب الأوسط على وجه الخصوص.

مصادر ومراجع البحث:

1.المصـــادر:

- الأغواطي: الحاج بن الدين، رحلة في شمال أفريقيا والسودان والدرعية، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، (طبعة خاصة)، 2011م.
- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1 وج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان ـــ، ط2، 1983.
- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج6 وج7، دار الفكر، بيروت ـــ لبنان، 1421هـــ ـــ 2000م
- مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محد حجي وآخرون، ج1 وج 2، مكتبة المعارف، الرباط ـــ المملكة المغربية، 1984.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

● الإدريسي أبو عبد الله الشريف (548هـ/1154م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي، الجزائر، 1983م.

● الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ق8هـ/14م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 538.

● ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي المكارم الجزري الشيباني (ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، راجعه وحققه: يوسف الدقاق، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

2.المراجع بالعربية:

● إبراهيم جدلة، المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي، وحدة البحث: الجنوب الغربي، التاريخ والاثار والتراث والمجتمع، جامعة قفصة ـــ تونس ـــ، د.ط، 2010.

● أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 ـــ 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن

● حسن حافظي علوي: ـــ دراسات صحراوية الماء والإبل والتجارية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014

● ـــ سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1418هـ/1997م

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

● عبد العزيز فيلالي: ـــ بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة ـــ الجزائر ـــ، 2014

● ـــ تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002

● مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت ن.

● محمد دراج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 ـــ 1543)، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 1433هـــ/2012م.

● ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2 منقحة، 2008.

● أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 – 1912م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 1432هـــ/ 2011م.

3.الرسائل العلمية:

● بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296 ـــ 547هـــ/ 909 ـــ 1152م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرف والمغرب الإسلامي، إشراف: مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتدة، بوزريعة ـــ الجزائر ـــ، الموسم الجامعي: 2012 ـــ2013م

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

● عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م ـــ دراسة اجتماعية واقتصادية ـــ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص: تاريخ الريف والبادية، إشراف: ابراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة2، الموسم الجامعي: 1433 ـــ 1434هـ/ 2012 ـــ 2013م

● قبابلة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار صحراوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـــ جامعة محمد خيضر ـــ، بسكرة ـــ الجزائر ـــ، 2009 ـــ 2010

4.المقالات:

● إبراهيم جدلة: ـــ السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر م، ضمن: الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.

ـــ المجموعات البدوية القبلية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، أشغال الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة ـــ المدينة ـــ المجال، في العالم العربي الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـــ جامعة تونس ـــ، تونس، أفريل 2003.

● رضوان شافو، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531 ـــ 1830م)، مجلة القرطاس، ع2، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ـــ الجزائر ـــ، جانفي 2011م

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

● عثمان المنصوري، بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة (القرن 16م نموذجا)، مجلة كنانيش، ع1، كلية الاداب والعلوم الإنسانية ــ جامعة محمد الأول ــ وجدة ــ المملكة المغربية ــ، 1999.

● عبد الأحد السبتي، علامات المدينة المغربية في الأدب الجغرافي الوسيط: في دلالات الخراب، مقال ضمن أعمال المائدة المستديرة :التاريخ واللسانيات ــ النص ومستويات التأويل ــ مراكش 25 ــ 26 ماي 1990، تنسيق وتقديم: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط ــ جامعة محمد الخامس ــ ،المملكة المغربية، 1992.

● حليمة بنكرعي، الدراسة الديمغرافية بالبوادي المغربية في الفترة ما بين 1459 ــ 1541 بادية الواجهة الأطلنطية أنموذجا، مجلة كنانيش، ع1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ جامعة محمد الأول ــ وجدة ــ المملكة المغربية ــ، 1999.

● هجيرة تمليكشت، مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر (مساكن قصر تمنطيط أنموذجا)، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع 15.

● محمد استيتو، الأزمة الديمغرافية في تاريخ المغرب الحديث، مجلة كنانيش، ع1، كلية الاداب والعلوم الإنسانية ــ جامعة محمد الأول ــ وجدة ــ المملكة المغربية ــ، 1999.

● محمد المهناوي، الولي والمجتمع: مدخل لدراسة تاريخ الخوف في المغرب الحديث، مجلة كلية الآداب، ع 11 ــ 12، الجديدة ــ المملكة المغربية

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 1338–1405 تاريخ النشر: 27–06–2021

● محمد مزراق، قصبة القصر الكبير "باجودة" بعين صالح، مجلة آفاق علمية، مج9، ع 2، المركز الجامعي بتامنغست ـــ الجزائر ـــ، 2017،

● لبتر قادة، قصر موغل بولاية بشار مقاربة تاريخية وأثرية، مجلة منبر التراث الأثري، ع 5،جامعة أبو بكر بلقايد ـــ تلمسان ـــ الجزائر ـــ، ديسمبر 2016م

5.المراجع باللغة الأجنبية:

• E.Daumas, Le sahara Algerien:Ètudes geographique, statistiques et historique sur la region au sud des etablissements Français en Algerie, Paris, 1845.

• E.CARETTE;Recherche sur l'origine des prancipales tribus de l'Afrique septentrionale et particulierement de L'Algerie, Paris ,1853.